روايات عبير



مفاجأة!
خاتم الماس
جائزة مسابقة عبير
بالاشتراك مع راديو مونت كارلو



ريبيكا ستراتون

حارس القلعة

روايات عبير

''ARLEQUIN – "ABIR" – No. 67

حارس القلعة

حين ترتفع يد الحب وتصفع القلب، ماذا يبقى للمحب؟ هل يحكم بالغلط على حبيبه، لمجرد انه كوّن فكرة عنه من خلال ما يقال. . . ام يتبع صوت قلبه ويلحق بالحبيب ويسلمه قلبه على راحة من ذهب؟

لورا الجميلة التي قرأت الحياة والحقيقة. . . حكمت على هوغوجيرارد بالسوء. وتشاء الصدف ان تعمل معه في قلعته، لكن عقلها واحاسيسها المشوشة، تؤثر على علاقتها بجاك، الشاب الرقيق، والمسؤول الأول عن عملها مع هوغو.

قسوة هوغو لا تحتمل. فهل ينقذها جاك بالزواج والسفر حول العالم، ام يتركها وحيدة مع حارس القلعة؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
AUTUMN CONCERTO

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

١ - هل أنت البستاني؟

لم تكن مكتبة ستودارد لبيع الكتب في اكسفورد ذات ديكور منمق، ولكنها من المكتبات التي تقدم افضل الخدمات لزبائنها.

فيمكن للمرء ان يجد في مكتبة ستودارد اي كتاب كلاسيكي او قصة بوليسية بالاضافة الى وجود البائعة الجذابة لورا كولتون.

لم يوظفها هنري ستودارد العجوز اغراء للطلاب كي يزوروا مكتبته، بل كان مما ازعج هنري العجوز بأن توجد فتاة جميلة مثل لورا في مكتبته مما ادى الى توافد الشبان الذين يترددون على المكتبة دون ان يشتروا الكثير.

كان جالساً في مكانه يتأملها وهي قرب النافذة والشمس تعكس فوق شعرها البني الغامق لوناً جذاباً. كان وجهها بيضاوياً وعيناها رماديتين واسعتين وفمها عريضاً بعض الشيء مبتسماً بشكل دائم. وفكر متأملاً- انها جذابة فعلاً، ولكن وجودها في مكتبته اقل نفعاً مما تخيل.

لم تكن لورا تعلم ان ستودارد يتأملها، ولكنها كانت منتبهة للبليغ الذي كان يتطلع اليها من خلال الزجاج، ويغمز لها قبل ان يتوجه الى الباب.

وانتظرت لورا دخوله بمشاعر مختلطة. فوجوده معها يلهيها عن القيام بعملها وقد لاحظت اخيراً نظرات الانزعاج على ستودارد.

دخل جاك المخزن وتوجه اليها كالعادة ووضع يده حول خصرها بلا مبالاة. وحاولت لورا ألاّ تظهر اعجابها به وبخاصة انه لم يكن بحاجة للتشجيع. وحيّته بلا مبالاة فشعر بشيء من الامتعاض لهذه التحية الفاترة.

ابتسمت، ثم باشرت بتنسيق الكتب على الرفوف مركزة انتباهها على عملها. ولاحظت لورا امتعاضه المتزايد لتجاهلها اياه وفكّرت انه مدلل بلا شك ومعتاد على ان تسير الامور على هواه.

وبادرها بالحديث:

«لماذا تحييني ببرود يا عزيزتي؟».

وكانت يده ما زالت على خصرها، فشعرت بخفقات قلبها وهي تحاول الافلات من يديه.

كان صوت جاك منخفضاً ومتوازناً فاحسّ هنري ستودارد بلهجة الغزل في كلامه، فعبس منزعجاً لشعوره بالضيق تجاه زائر آخر من اولئك الذين يترددون على المكتبة بدون شراء الكتب. كانت لورا تود المحافظة على عملها، وشعرت بانها ربما خسرته لو استمرّ جاك بتردد على المكتبة اثناء ساعات العمل.

لم يكن جاك وسيماً ولكنه كان مثال الرجل الفرنسي الرومانسي الجذّاب.

كان شعره بنياً غامقاً مائلاً للطول، مجعداً فوق ياقة سترته المخملية، وعيناه بنيتين غامقتين ترويان احاديث بدون أن ينطق صاحبها بكلمة.

كان ذا جسد نحيل واثقاً من نفسه، وفكّرت لورا- انه من الممكن الوقوع في حبه بسهولة اذا سمحت لنفسها بذلك.

وقالت له مبررة فتور تحيتها:

«أنا أعمل».

واجابها:

«وليس عندك الوقت لي».

فابتسمت لورا رغماً عنها وحاولت ألاّ تنظر اليه، لكنها تطلعت خلسة الى هنري ستودارد العجوز وتابعت:

«وليس عندي الوقت لأضيعه مع اناس يدخلون المكتبة ويخرجون بدون شراء أيّ كتاب. جاك، عندي عمل يجب ان انجزه، بالاضافة الى ان السيد ستودارد ليس راضياً عن زياراتك بدون ان تشتري اي شيء.. الا ترى انه يجب عليك ان تهتم بامتحاناتك».

فهز كتفيه بلا مبالاة متجاهلاً عبوس صاحب المخزن وجلس على حافة المنضدة التي كانت لورا تستعملها لتنظيم الكتب. ووضع يده فوق يدها واقترب منها ليهمس في اذنها قائلاً:

«انت السبب اذا لم انجح في امتحاناتي. سأخبر جدتي وهوغو انك انت السبب».

وابعدت لورا يدها وتلاقت عيناها بعينيه وقالت بحزم:

«وانا سأنكر ذلك، وفي الحقيقة انا عزمت على الكتابة لجدتك وخالك لاخبرهما كم اضعت من الوقت خلال الاسابيع القليلة الماضية».

«لن يصدقاك!».

وهز كتفيه وبدا عليه عدم الاهتمام على الاطلاق، بينما كانت لورا تفكر في وضع اسرته فهو لم يخبرها الكثير ولكنها عرفت انه يتيم وادركت انه غني وان اسرته خططت لتعليمه حيث تعهد خاله وجدته بدفع التكاليف الى ان يصل الى مرحلة يستطيع خلالها ان يرسم طريقه.

كان الاخ الاكبر بين ثلاثة، وقد تمّ تعليم اخته التوأمين البالغتين من العمر عشرين عاماً في فرنسا، وبدا واضحاً ان جدته كانت تهتم

بتعليمه إذ انه الرجل الوحيد بين خمسة احفاد.

نظرت اليه لورا بطرف عينها وحملت مجموعة من الكتب المنسقة الى الرفوف. وبالطبع لحق جاك بها واحاط بخصرها لدى وصولها الى الرف العلوي، مما دفع هنري ستودارد الى العبوس غير راض عن الموقف.

ونظرت لورا الى هنري ستودارد خلسة واستدارت بسرعة عندما رأته يراقبها وقالت لجاك:

«لا تفعل ذلك ودعني ابدو وكأنني اعمل. لو رآك السيد ستودارد هنا مرة ثانية، فسوف يطردني فوراً».

وحرّك جاك يديه بلا مبالاة بشكل دفع كومة الكتب في الهواء وقال:

«وماذا يهمنا؟».

واسرعت لورا لالتقاطها لعلمها بمدى كراهية هنري ستودارد اهمال الكتب. واجابت جاك هامسة:

«انا اهتمّ، ويجب ان اكسب عيشي. اني احبّ العمل بين الكتب، وانت لا تسهّل عليّ الموضوع».

وحرّكت بعض الكتب على الرفوف وافسحت مجالاً لتضع غيرها.

كانت لورا دائماً تحاول ان تنجز عملها بشكل جيّد رغم ما يعترضها من وسائل اغواء، ربما لانها تحب الكتب، ومع انها تجد جاك جذاباً لكنها ليست مستعدة للسماح له بأن يفقدها عملها.

وقال جاك:

«لا يهمك شيء بعد الآن يا عزيزتي».

فتوقفت لورا عن العمل وحدقت به وقالت:

«ماذا تعني يا جاك بأن الامر لا يهمني بعد الآن؟ بالطبع يهم».

وشعت عيناه شوقاً ونظر اليها قائلاً:

«لقد وجدت لك عملاً آخر افضل من هذا بكثير حيث يمكنني ان اراك حسب رغبتي».

«جاك!».

وجلست على احدى درجات السلم وبعض الكتب ما زال في حضنها واخذت تراقبه بعدم ثقة. صحيح انها تجده جذاباً الى حدّ كبير لكن شيئاً فيه يقلقها. وقالت:

«اتمنى لو تشرح ...».

وتجاهلت نظرات ستودارد الغاضبة وشعرت باحساس غريب في معدتها نتيجة للتوقع.

وتردد جاك قليلاً وقال:

«عمل آخر».

وفكرت انه ربما يكون عملاً يختلف عن مجرد العثور على مكتبة اخرى.

وتابع اخيراً قائلاً:

«لعلك سمعت بخالي؟».

وعبست لورا بتعجب وسألته:

«اتعني وليّ امرك؟».

فبدا الضيق عليه وقال:

«عزيزتي، رجل في الثالثة والعشرين ليس بحاجة الى وليّ امر. ولكن هوغو هو وصي على ثروتي الى ان ابلغ الخامسة والعشرين. وكذلك جدتي، فهما الاثنان وصيّان على اموالي».

«هكذا اذن».

ونظرت اليه متسائلة لانه ابتعد عن موضوع خاله.

وسألها:

«الا تعرفين خالي؟».

هزّت رأسها بالنفي.
فتابع قائلاً:
«أنت لا تعرفين انه هوغو جيرارد؟».
دهشت لورا وهزّت رأسها ولم تكن قادرة على الجواب للحظة. ومن ثم قالت:
«انا . . . ليس عندي فكرة، انت لم تخبرني».
وابتسم قائلاً:
«وانت معجبة بذلك هه؟».
وشعرت بانها عرفت السبب الذي منعه من القول بأن خاله هو هوغو جيرارد.
وتابع قائلاً:
«أعطيت اسمك لخالي، فهوغو بحاجة لمن يعمل عنده، في كتبه وانت ملائمة للعمل كثيراً يا عزيزتي».
ولم تجبه لورا للحظات فقد كان يصعب عليها تصديق ذلك وشعرت قلبها يخفق بشدة لدى تفكيرها باحتمال كونها ستعمل عند رجل مثل هوغو جيرارد.
من المؤكد انه لن يوظفها بغض النظر عما قاله جاك، فهي مجرد صديقة عابرة لابن اخته، بالرغم من ان جاك لا بد انه وصفها على انها اكثر من ذلك.
وادركت ان الكتب التي يذكرها جاك بشكل عفوي مرات عدة كانت في الحقيقة مجموعة كبيرة من المجلدات القيّمة التي لا يقدر بعضها بثمن، وامكانية عملها بين هذه الكتب فرصة قد تعني لها الكثير بالاضافة الى اهمية الرجل بحد ذاته. لا بد ان العمل معه شيّق تماماً كمكتبته الغالية. كل من يعمل في عالم الكتب سمع بهوغو جيرارد وخاصة منذ ان نشر كتابه في الشهر الماضي، ذلك الكتاب

الذي قوبل بحماس في جميع انحاء العالم واشتهر على انه قصة حياة الكاتب بالرغم من وصفه له بأنه قصة تتكلم عن مغامرات رجل فرنسي في مختلف انحاء العالم.
قام هوغو جيرارد باسفار عديدة تماماً كشخصية كتابه وعاش حياة مليئة بالمغامرات والمآدب العامرة في محيط المجتمع المخملي. تكلم كثيراً في كتابه عن الحب والنساء اللواتي قابلهن البطل واحبهن ومن ثم تركهن. قرأت لورا الترجمة الانكليزية للكتاب ووجدتها شيقة الا انها وجدتها غير مقبولة من وجهة نظر المرأة، ولم يغب عنها ان المرأة لا تعني كثيراً في حياة هوغو جيرارد بالرغم من كثرة مغامراته. واعادت نفسها الى الواقع وهزّت كتفيها وابتسمت والتقطت كتاباً واضافته الى مجموعة الكتب وقالت:
«جاك، يبدو ان هذا حظ كبير لي ولكن لا يمكنني ان آخذ الموضوع بجدية. وانا متأكدة ان السيد جيرارد لن يرغب بتوظيف امرأة انكليزية. فيما اذكره في كتابه انه لم يكن له رأي جيد بالمرأة الانكليزية».
وامسك جاك بيديها وقال:
«أنت مخطئة، انا اخبرته يا عزيزتي، انك خبيرة في الكتب». واقترب منها اكثر، واضاف: «واخبرته كم انت جميلة وانك تهمينني ويجب الا يفكر. . .».
وهزّ كتفيه بدون ان يكمل جملته، فاحمرّ وجه لورا، لادراكها بأن الامور تسير بسرعة وتخرج من يدها وقالت:
«لم يكن هناك من سبب لتقول ذلك، فلربما تكون قد اعطيت خالك الانطباع الخاطىء». وسألها:
«وكيف ذلك؟».
هزّت رأسها ووقفت وقد ضمت الكتب اليها بشدة كوسيلة دفاع

لئلا تترك جاك يقنعها بشيء قد تندم عليه. واخيراً قالت:

«انت تعرف انك اعطيته فكرة خاطئة».

وتابعت وهي تضع الكتب في مكانها بلا مبالاة قائلة:

«هناك شيء واحد. وهو انه يفضل توظيف فتاة فرنسية للعمل، اضافة الى اني لست الخبيرة التي تكلمت عنها وسيكتشف ذلك سريعاً».

وشعّت عينا جاك بخبث واخرج رسالة من جيبه وحرّكها امام وجه لورا وقال:

«انت مخطئة اذا كنت تظنين انه لن يوظفك، فقد طلب ان تذهبي لرؤيته وبامكانه ان يحكم بنفسه فيما اذا كنت مناسبة للعمل».

وحملقت به ونسيت الكتب وقالت:

«جاك، انا... انا لا اصدق ذلك».

وابتسم وكأنه كان متوقعاً دهشتها وقال مؤكداً:

«انها الحقيقة، وسيدفع لك تكاليف السفر وانا سأكون بنفسي هناك قريباً جداً. بمجرد ان تبدأ عطلة الصيف».

«ولكن...».

وحاولت ان تجد سبباً لكي لا تذهب للمقابلة في فرنسا، ولكن لماذا ترفض العرض هكذا وتبقى في مكانها؟ ولم تجد سبباً وانما اخذت ترتجف بسبب تشوقها لفكرة العمل لدى رجل مثل هوغو جيرارد اذا كان ما كتبه هو قصة حياته.

واصرّ جاك قائلاً:

ستذهبين أليس كذلك؟

وأومأت رأسها بالايجاب بدون تفكير، وتذكرت انها موظفة عند ستودارد، وفيما لو لم تنجح بالحصول على العمل الجديد ستعود لتجد نفسها بلا عمل.

وبدا عليها التشوّق ولكنها قالت:

«جاك، لا، لا استطيع. انا... لا يحق لي اجازة الآن، ولا يمكنني ان اذهب الى فرنسا لبضعة ايام، فاذا لم احصل على العمل...».

واصرّ جاك قائلاً:

«ولكنك ستحصلين عليه».

«جاك لا يمكنني ان اجازف».

وتمتم قائلاً:

«اذن يجب ان اجبرك يا عزيزتي».

وقبل ان تتمكن من الاحتجاج شدّها اليه وعانقها بشدة وشعرت باسترخاء لم تتوقعه. وبدلاً من ان تدفعه عنها كما تفعل في مثل هذه الظروف تجاوبت معه وهدأت بين يديه.

«آنسة كولتون».

وأعادت لورا نفسها الى الواقع وتطلّعت الى السيد ستودارد بوجهه الاحمر يحدق بها من خلال نظارتيه.

ونظرت الى جاك الذي بدا الانتصار في عينيه وادركت ما عنى عندما قال سأجبرك على ان تذهبي، وبعد التجاوب الذي ابدته، ما من احد يصدق بانها لم تكن راضية عن تصرفه.

وحاولت الابتعاد عن جاك محاولة ايجاد تفسير للسيد ستودارد الذي لم يكن ليرضى عن مثل هذا التصرّف على الاطلاق وخاصة انه دائم الانتقاد لاخلاق الشبان، ولم يكن ليتحمل مثل هذا العمل في مكتبه.

وسارعت لورا بالاعتذار راجية ألاّ يبدو اعتذارها عقيماً وقالت:

«انا آسفة جداً، سيد سودارد».

وأجابها العجوز بحدة:

«لا يمكنني ان اسمح بمثل هذه التصرّفات في مكتبتي. وانت تعلمين رأيي بهذه الامور يا آنسة كولتون، ببساطة لا يمكنني ان اسمح بذلك».

وضحك جاك ضحكة قصيرة وقال:

«وكيف يمكنك ان تعترض لاني عانقتها، الا يوجد عندك قلب؟».

واحمرّ وجه السيد ستودارد بالغضب والخجل ونظر مرة ثانية الى لورا وهز رأسه بأسف وقال:

«لقد خيّبت ظني فيك يا آنسة كولتون، ظننتك تهتمين بعملك هنا ولكن اخيراً على ما يبدو...»

وتنهد وتابع:

«انا آسف ولكنني لن اسمح لك بالبقاء في خدمتي».

وشعرت لورا فجأة بالحزن، ولم تنظر الى العجوز وانما حدقت في يديها وقد اختفى وجهها خلف شعرها عندما احنت رأسها وقالت بصدق:

«انا آسفة جداً يا سيد ستودارد».

ونظر الرجل العجوز من فوق نظارتيه الى جاك وعبس وتوجه بالحديث اليه قائلاً:

«بالنسبة اليك ايها الشاب، فقد راقبتك في الآونة الاخيرة ورأيت ان كثرة ترددك على المكتبة لم تزد ارباحها لأنك لم تشترِ شيئاً ولو مرة واحدة. وعليّ ان اطلب منك ألاّ تأتي هنا مرة ثانية. وغمز جاك بعينه للورا واجاب:

«لا تخشَ ايها السيّد. بما انك لم تعد مديراً للآنسة كولتون فلم تعد عندي الرغبة في زيارة مكتبتك».

وشعرت لورا بأن جواب جاك قاسٍ جداً على الرجل العجوز.

وهزت رأسها بأسف وقالت:

«اود ان أكرر اسفي يا سيد ستودارد. انا آسفة على ترك عملي هنا لاني استمتعت به».

وللحظة بدا السيد هنري ستودارد وكأنه على وشك ان يصفح عنها ويسمح لها بالبقاء، ولكن لورا لم تكن متأكدة فيما لو كانت ستسرّ لو صفح عنها ام لا.

لم يعطِ جاك فرصة للسيد ستودارد ان يقول اي شيء فلا بد انه يتأكد من ان كل شيء يسير على هواه وابتسم للرجل العجوز قائلاً:

«الآنسة وجدت عملاً آخر».

وحملق الرجل العجوز بلورا.

وسارعت لورا مؤكدة له:

«ليس هناك شيء أكيد بعد، ولكن السيد جاك تكلّم مع... مع خاله عن احتمال عملي عنده في فرنسا». وشرحت له متابعة: «هوغو جيرارد الرجل الذي كتب «الحيلة والحقيقة».

ورفع هنري ستودارد حاجبيه ونقّل نظراته بين لورا وجاك وكأنه فهم كل شيء الآن وقال:

«آه فهمت الآن». وحكّ ذقنه متابعاً:

«انا اعرف من هو هوغو جيرارد يا آنسة كولتون بالاضافة الى معرفتي الاكيدة بسمعته. لا شك انه كاتب ماهر ولكن هل انت متأكدة مما انت مقدمة عليه يا آنسة كولتون؟ هل تكلمت في الموضوع مع زوج امك؟».

وتذكرت لورا انه تعرّف على زوج امها منذ مدة طويلة مما جعله يشعر بالمسؤولية تجاهها، وشعرت بالامتنان له لاهتمامه. ولكنها على يقين بأنها قادرة على ان تهتم بنفسها فيما لو حصلت على العمل عند هوغو جيرارد.

وابتسمت محاولة ان تشرح وجهة نظرها قائلة:
«أنا لم اعلم بالموضوع إلا الآن».
ونظرت الى جاك وتابعت:
«والآن اخبرني السيد . . .».
«وهذا اذن. . .» وقام بحركة من يديه فهمت لورا ما يعني بها وأومأت برأسها قائلة:
«هذا صحيح، بالطبع لم يصبح الامر اكيداً بعد فعليّ ان اذهب اولاً لمقابلة السيد جيرارد. . .».
وابتسم جاك للرجل العجوز بثقة وقاطعها قائلاً:
«ولكن هناك أمل بان تحصلي على الوظيفة». ثم وجّه حديثه الى السيد ستودارد وقال:
«وارجو الا تخشى على سمعة الآنسة يا سيدي. فانا سأعتني بها بنفسي عندما تبدأ عطلة الصيف».
وفكرت لورا بانها اصبحت شبه مجبرة على الذهاب، ولا بدّ ان ستودارد غير مقتنع بالفكرة لما يعرفه عن سمعة هوغو جيرارد ولا يمكن له ان يعتبر جاك شخصاً مناسباً ليعتني بسمعتها.
مضى الاسبوعان التاليان بسرعة بعد ان اعطاها هنري ستودارد انذاراً بانهاء عملها.
كانت تفضل تأجيل سفرها حتى تبدأ عطلة الصيف وبالتالي سيرافقها جاك في رحلتها، ولكنه أصرّ عليها ان تذهب بمفردها لئلا ينفذ صبر خاله ويقرر توظيف فتاة اخرى لتصنيف مجموعته القيمة.
كانت متشوقة جداً، فكل هذه المسافة للمقابلة من أجل العمل. . . وفكرت لورا عندما حطت الطائرة في مطار أورلي ووطئت قدماها التراب الفرنسي فيما لو كانت الرحلة كلها حلماً.
وقابلها رجل كبير في السن يرتدي لباس سائق رسمي ويتكلم

بالانكليزية ركيكة وسألها فيما لو كانت الآنسة كولتون، ومن ثم قادها الى سيارة مرسيدس سوداء وكأنها في زيارة رسمية. لا بد ان جاك قد اصر على مثل هذا الاستقبال، فهوغو جيرارد لم يكن ليرسل سيارة مرسيدس مع سائق ليستقبل احدى المتقدمات لوظيفة متواضعة عنده، لذلك لم تمانع بمثل هذا الاستقبال وان كانت لم تتوقعه.
لم يكلمها السائق كثيراً اثناء الرحلة واستنتجت ان انكليزيته بجودة فرنسيتها، ولكنها لم تضق بعدم الكلام لأنها استمتعت بالرحلة ومناظر الريف، وفوجئت بالسرعة التي خرجا فيها من باريس. باريس من المدن التي تمنت دائماً زيارتها وعزمت على ان ترى مظاهرها قبل ان تعود، فهي على يقين بأنها لن تقبل في العمل الذي كانت على وشك ان تتقدم اليه. وكان الطريق الذي سارا فيه متعرجاً بين القرى والغابات الممتدة. وبدا منظر احدى القلاع مغرياً بأبراجها المحيطة بها والتي تظهر من بين الاشجار عن بعد والنهر الذي يتلوى بين المروج الخضراء، كل ذلك ذكرها بقصص الخرافات والخيالات. ووجدت نفسها تبتسم بارتياح، وشاهدت احدى علامات الطريق التي تشير الى أن القرية التي اقتربا منها اسمها «وادي الاشجار» وعضت على شفتها لأنها تذكرت انها على وشك الوصول. حيث ان جاك اخبرها بأن القلعة التي يسكنونها كانت في جنوب تلك القرية، وتمنت لو لم ينته الطريق بهذه السرعة لأنها بدأت تشعر بالارتباك وعاودتها كل مخاوفها.
وانحنت قليلاً لتتكلم مع السائق وسألته غير متأكدة من انه سيفهم ما تقوله:
«هل نحن على وشك الوصول؟».
وحاولت ان تفسر له الكلمات بالفرنسية ولكنه اجابها على الفور بقوله:

«بالطبع يا آنسة».

ابتسم لانه أحس بارتباكها.

ونظر اليها خلسة، وسألها:

«هل ستصبحين موظفة عند السيد جيرارد؟».

وابتسمت بضيق وهي تفكر بما يجول في خاطره. فلا بد ان قابل الكثيرات من قبلها وربما كان يتساءل عن عملها بالتحديد في بيت سيده.

«أنا... أنا لست متأكدة بعد».

وادركت انها بترددها لم تثبت لنفسها انها موظفة وليست شيئاً آخر.

وابتسم السائق ابتسامة معرفة وقال:

«آه، نعم يا آنسة».

واحمرّ وجهها فبادرته مسرعة محاولة ان تزيل شكوكه، وقالت:

«انا قادمة هنا للمقابلة من اجل العمل في مكتبة السيد جيرارد لتنظيم لوائح كتبه».

واجابها بالكلمات نفسها:

«آه نعم يا آنسة».

ولكنه لم يبتسم مثل تلك الابتسامة السابقة وتساءلت لورا فيما لو انه صدقها. لا بدّ انها ستقابل الكثير من ردود الفعل هذه اذا عملت هنا، بل واكثر مما كانت تتوقع.

وتوقفت عن الحديث وجلست في مقعدها تفكر هل ان خطوتها هذه صحيحة. لا بد ان هناك صعوبات كثيرة بلا شك، ولا بد أنها فرصة ذهبية لتعمل عند رجل كهوغو جيرارد، ولكنه من الواضح ان هناك سلبيات ايضاً ولكن ايها ستغلب الاخرى، السلبيات او الميزات؟

وانعطفت السيارة في احدى الطرق المشجّرة واسرعت في سيرها مما انسى لورا تفكيرها واشعرها بالارتباك.

وفي نهاية الطريق وعبر الاشجار استطاعت ان ترى اول لمحات القلعة.

وفي البداية لم تبد مختلفة عن القلاع التي مرّا بها اثناء طريقهما، وشعرت نوعاً ما بالاستغراب لانها توقعت ان ترى صورة من القلاع الانكليزية القديمة، لكنها فوجئت بان هذه مسابة اكثر ودائرية مع برج مدبب على كل جانب، ونوافذ مسطحة.

وهناك احجار ضخمة مصطفة بشكل البق تشكل قاعدة للاشجار على شكل مظلّة محيطة بالساحة بينما امتدّ السلم الحجري الى الباب الخشبي الطويل.

وبدا كل شيء مثيراً وجميلاً، وشعرت لورا بهبوط في قلبها لدى رؤية كل ما حولها، فمن المؤكد انها لن تشعر بالارتياح على الاطلاق في مكان ضخم كهذا.

وساعدها السائق على الخروج من السيارة مبتسماً لانه احس بشعورها وتعاطف معها.

ومن ثم انحنى انحناءة خفيفة وهمّ بالمغادرة، ولكن لورا امسكت بيده محدقة وقالت:

«كيف لي... من يجب ان ارى؟».

وهزّ كتفيه مجيباً:

«اذا قرعت الجرس ستأتي السيدة روسّو لمساعدتك يا آنسة».

«آه. عرفت، شكراً».

واستجمعت لورا شجاعتها وقلبها يخفق بشدة وصعدت السلم الحجري وفوجئت عندما سمعت شخصاً يكلمها من الساحة قائلاً:

«صباح الخير يا آنسة».

كان الصوت هادئاً ويحمل لهجة حب الاستطلاع. إن كان مثقفاً ام لا فهذا شيء لا يمكنها ان تحكم عليه ولكن مظهر ثيابه يدل على انه كان مثقفاً. كان طويل القامة وآثار الشمس بادية على وجهه. اما شعره فبني فاتح مائل الى الصفرة، عيناه رماديتان بنظرات وقحة دفعت الاحمرار الى وجنتيها، ورجولته قوية ويبدو واثقاً من نفسه.

واجابت على تحيته لانها توقعت المساعدة منه لو انه يتكلم الانكليزية، وقالت:

«صباح الخير».

من ملامحه يبدو انه بستاني او شيء من هذا القبيل.

وسألها:

«هل بامكاني ان اساعدك يا آنسة؟».

وارتاحت لورا لانه يتكلم الانكليزية وابتسمت قائلة:

«قيل لي ان ارى السيدة روسو، وكنت على وشك ان اقرع......».

«أنت الآنسة كولتون؟».

وصعد درجات السلم بسرعة وخفة ووقف بجانبها وقد وضع يده في جيب بنطاله المهترىء والذي بدا عليه انه كان يوماً ما بنطالاً غالياً، وكان يرتدي معه قميصاً ازرق باهتاً.

وقالت بنوع من الترفع:

«أنا الآنسة كولتون. هلا اخبرتني اين اجد السيدة روسو؟».

ووقف يتطلع اليها بنظرات مزعجة مما اشعرها بالارتباك.

وسألها:

«من أوصى اليك ان تري السيدة روسو؟».

ونظرت اليه بتردد للحظة وقالت:

«انا.. انا متأكدة ان هذا هو الاسم الذي ذكره السائق، اليس

كذلك؟ فانا لا اعرفها».

واجابها:

«السيدة روسو هي مديرة البيت».

وتقدم ليفتح الباب لها منتظراً دخولها. وتابع قائلاً:

«ولكن اظنّ انه ما من حاجة لازعاجها في هذه الحالة».

وترددت لورا بالدخول ولم تفهم كلامه بالضبط، وهزت رأسها وقالت:

«انا.. لا اعرف».

فعبس بعصبية وقال:

«لو تتفضلين على الاقل بالدخول الى القاعة فانا لا احب الوقوف عند الباب».

وشعرت بالغضب لمهجته وتقدمت الى القاعة التي لم تر لها مثيلاً بسقفها المرتفع والسجاد المعلق على الجدران والذي لا بد انه يعود لقرون عديدة. اما الارض فهي خشبية مزخرفة بمختلف الزخارف باللون البني والذهبي الذي يشع في ضوء الشمس المتسلل عبر النوافذ.

وقد تفرّع منها درجان ضخمان الى الطوابق العلوية، وفي نهايتها كانت تقع قاعة الصور وكان من السهل على اي انسان ان يدرك انه في داخل قلعة بغض النظر عن مظهر القلعة من الخارج، ووقفت وقد بدت الدهشة على محياها.

«انت معجبة بالمكان يا آنسة كولتون اليس كذلك؟».

وفوجئت بملاحظته وصوته الهادىء، فقد بدا لها بلباسه المهترىء غير متناسب مع هذا المحيط الرائع. واعادت النظر اليه مرة ثانية، وفكرت مجدداً، وبدأت تشعر برغبة في معرفة هويته.

من الواضح انه كان احد الموظفين ولكن هناك ما جعل منه انساناً

واثقاً من نفسه وتصرفاته مما لا يتناسب مع ثيابه المهترئة.

واجابته بطريقة الترفع نفسها قائلة:

«نعم انا معجبة. ولكن انا متأكدة ان السيد جيرارد لن يوافق على ان يقودني احد موظفيه في جولة، بينما انا على موعد معه. فلو سمحت ان تساعدني على ايجاد السيدة روسو. . .».

واجابها بحزم وثقة بالنفس قائلاً:

«اخبرتك انه ما من حاجة لرؤية السيدة روسو».

وعبست لورا ونظرت اليه وشعرت بالشك.

«لكنني. . .».

وتوقفت عن الكلام عندما فتح احد الابواب وتقدمت امرأة بسرعة باتجاهها. وتنهدت لورا وشعرت بالارتياح. فلا بد ان هذه هي السيدة روسو على ما يبدو وسيمكنها ان تتعرف الآن على هذا الرجل ذي الشخصية القوية الذي يقف معها.

«آوه، سيدي».

وبدا الارتياح على وجه السيدة روسو وابتسمت لدى رؤيته ورمقت لورا بنظرة سريعة، وتكلمت بالفرنسية بسرعة مع الرجل الذي كان يقف معها ولم تفهم لورا ماذا كانا يقولان. وبدت عليها القناعة بأن تترك لورا في عهدة الرجل. وكان بدوره يتكلم مع السيدة روسو باللهجة نفسها ثم توجه الى لورا وابتسم لها واوما برأسه كأنه يعتذر.

وسألها:

«انت لا تتكلمين الفرنسية آنسة كولتون؟».

واجابته قائلة:

«لا. ابداً».

وعبس وبدا عليه عدم السرور بذلك وقال:

«هذا مؤسف».

واصبحت لورا نوعاً ما متأكدة من هويته الآن، ومع ذلك وجدت من الصعوبة بمكان ان تتقبل ان هذا الرجل ذا الثياب المهترئة هو بالفعل الشخص الذي سافرت كل هذه المسافة لمقابلته وسألته:

«سيدي. . . من انت؟».

وحدّق فيها للحظة، وشعرت بنوع من السرور في عينيه الرماديتين ورفع احد حاجبيه ووضع يده تحت كوعها وادارها باتجاه أحد الابواب وقال:

«الا تعرفين من انا؟».

وترددت لورا ونظرت اليه، وتمعنت اولاً بالوجه القوي والنظرات الثابتة والواثقة ثم الى ثيابه المهترئة واعترفت في محاولة الا ترتكب خطأ شنيعاً وقالت:

«انا. . . انا لست متأكدة».

واجابها بصوت هادىء واثق وقال:

«انا هوغو جيرارد يا آنسة».

وقادها عبر القاعة وتابع:

«واظن انك الآنسة كولتون وعلى ما يبدو انك واحدة من اولئك الناس الذين يحكمون على الكتاب من غلافه، هه؟».

وشعرت بالارتباك للهجته وادركت مرّة ثانية كم كانت متسرّعة عندما ظنت بأنها قادرة على ان تعمل لرجل كهوغو جيرارد. ولكنها تأخرت الآن ولا يمكنها العودة، فعليها ان تنهي المقابلة على الأقل.

٢ - مواجهة غير مريحة!

لم تكن الغرفة التي ادخلها اليها هوغو جيرارد، شبيهة بأي مكتب رأته في حياتها، مع العلم أنها لم تر الكثير، الا ان فكرتها عن المكاتب انها دائماً بسيطة وعملية. وهذه الغرفة جميلة تماماً كالقاعة الواسعة التي شاهدتها قبلاً. السجادة الخضراء ذات الوبر الطويل اضفت على الغرفة جواً جذاباً ولكن مريحاً، أما الجدران فقد كانت باللون الفاتح علاة باطار مطعم بالذهب يكاد يصل الى السقف المنحوت نحتاً زخرفياً بديعاً وعلى الجدران بعض اللوحات الجدية، اما منضدة المكتب المصنوعة من خشب الورد فقد بدت انيقة. وعلى مقربة من المكتب يوجد كرسيان جميلان رقيقان بدا التناقض بينهما وبين المكتب الخشبي الصلب وكرسيه الجلدي.

وقدم لها هوغو احد الكرسيين لتجلس عليه. وجلس مقابلاً لها محدقاً بها بنظرات ثابتة اربكتها، وجلست لورا واحدى يديها في حضنها والأخرى ما زالت قابضة على حقيبة ملابسها بينما كانت تنظر الى احدى الثريات الكريستال الجميلة المعلقة فوق رأسها. كل شيء رأته في هذا البيت بدا اكبر من الواقع وخاصة انها لم تشعر في يوم ما بأنها صغيرة وغير متناسقة مع المكان الذي يحيط بها. وبما انها لم تكن متأكدة مما يجب ان ترتدي لهذه المقابلة غير العادية فقد قررت ان ترتدي ثوباً كحلياً داكناً ياقته بيضاء، وحذاء كحلياً يناسب ثوبها،

كما ردت شعرها الى الوراء بشكل لم يكن ليوافق عليه جاك على الاطلاق اذ انها كانت تتركه مسدلاً على كتفيها غزيراً وحريرياً بتجعيدات خفيفة جداً. وتمنت لو انها لم ترفعه لأنه كان غير مريح بالاضافة الى احساسها بأنه على وشك السقوط في اي لحظة مما يفسد صورة الجدية التي ارادت ان تظهر بها.

بادرها هوغو جيرارد قائلاً:

«والآن آنسة كولتون».

فنظرت اليه لورا وقلبها يتسارع بالخفقان وكأنها خائفة منه. كانت نظراته هادئة متفحصة ولكنها ودودة مما أراحها بعض الشيء. واستند الى الوراء في كرسيه الجلدي الضخم ووضع يده على جانب الكرسي مسنداً ذقنه بيده وقال:

«هل انت راغبة في العمل عندي بعد أن تأكدت اني لست البستاني او احد الموظفين؟».

وحاولت لورا ايجاد الكلمات المناسبة لتحييه وشعرت برغبة لأن تكون فظة معه كما كان معها. ولكن للأسف لم تكن عندها الشجاعة لتقول ما كانت تفكر به. وعلى العكس وجدت نفسها تعتذر منه قائلة:

«أنا... انا آسفة لأني حسبتك شخصاً آخر، لم ادرك...».

ولم يعطها فرصة لتنهي كلامها وقال:

«وهل تتكلمين دائماً بلهجة الترفع تلك مع من دونك من الموظفين؟».

ونظرت اليه بتردد وقالت باقتضاب:

«لم ادرك بأنني مترفعة في كلامي».

فضحك وهز رأسه وقال:

«واذا اردت ان احكم من خلال تجربتي يا آنسة فبالتأكيد انك

مترفعة. ألم يخبرك جاك اني احب القيام بالأعمال اليدوية للحفاظ على لياقتي؟».

وفكرت أن عليها ان تتذكر بأنه حسب شخصيته في القصة لم يكن رياضياً على الرغم من ثقافته وخبرته الاجتماعية، بحيث يجب عليه القيام بالأعمال اليدوية ليحافظ على قوته ولياقته. كانت تدرك بأنه بدائي قاس في تعامله مع النساء رغم قناع اللباقة والمدنية الذي يحاول ان يختفي وراءه. وقالت:

«جاك لم يخبرني إلا القليل عنك أيها السيد».

ولاحظت الابتسامة الخفيفة على وجهه.

هكذا اذن؟ ورفع احد حاجبيه ورمقها بنظرة متفحصة وجدت صعوبة في أن تواجهها لفترة طويلة وقال:

«أما زلت ترغبين في العمل عندي يا آنسة؟».

«أنا... أظن ذلك».

وكلما طال جلوسها معه كلما شعرت انها غير قادرة على القيام بالمهمة. فقد جعلها تشعر بأنها غير مناسبة وقالت:

«اخبرني جاك انك بحاجة لمن يصنف لك كتبك».

وأجابها:

«هل تنوين القيام بهذه المهمة؟ وهل تعرفين ماذا يعني ذلك؟».

ووافقت لورا بدون تردد قائلة:

«أتمنى ان اقوم بذلك. فمجموعتك معروفة جداً يا سيد جيرارد».

ومرة ثانية ابتسم قليلاً ورفع حاجبيه مستغرباً حماسها وقال:

«انت تعرفين مجموعتي؟ لم اعرف انها مشهورة الى هذا الحد يا آنسة، الا بالطبع بين الاكبر سناً والمثقفين. فلم اظن انها قد تكون موضع اهتمام فتاة صبية مثلك».

وبالرغم من انه لم يهزأ منها بشكل صريح او واضح ولكنها شعرت بسخريته الخفيفة، ورفعت رأسها بشموخ ونظرت اليه وقالت بصوت هادئ:

«انا عملت بالكتب لأعيش منذ ان تركت المدرسة يا سيد جيرارد. وبما اني متمرنة على عمل المكتبات فلا تتوقع اي ضرر سيلحق بمجموعتك القيمة. وأيضاً لا يوجد عمر محدد يبدأ فيه الانسان بتقييم الكتب الجيدة يا سيد».

وشعرت بأنها اعجبته بنقاشها بالرغم من انها لم تعرف اذا كان قد اعجب باندفاعها للدفاع عن نفسها بهذه السرعة. فحسب تقديرها انه رجل لا يحب من يعارضه، وانتظرت لترى ردة فعله واحست بألم في معدتها.

نظر اليها بصمت لفترة طويلة وشعرت انها لم تعد تستطيع البقاء هناك اكثر من ذلك وبدأت تترقب ما سيأتي بعد هذا الصمت ولكنه قال بهدوء:

«هذا صحيح يا آنسة. هل قابلت جاك في مركز عملك؟».

وأومأت لورا قائلة:

«نعم، في مكتبة ستودارد في اكسفورد. إنها...».

«نعم، اعرفها».

وابتسم لدهشتها وتابع:

«انا ايضاً حالفني الحظ لأن التحق بجامعتكم المشهورة لعدة سنوات يا آنسة كولتون وكذلك اخي الأكبر، ولهذا اردت ان يذهب جاك الى هناك ايضاً».

«آه فهمت الآن».

وتابع قائلاً:

«لقد زرت مكتبة ستودارد عدة مرات قبل ان تعملي انت هناك

بالطبع».

ونظرت اليه لورا بتفحص للحظة. لم يكن كبيراً الى الحد الذي توقعته على أساس انه خال جاك فربما كان اصغر اخوته، فجاك لم يشرح لها شيئاً من ذلك. يبدو انه في الخامسة والثلاثين او السادسة والثلاثين من عمره لا اكثر.

وقالت:

«لم يذكر لي جاك ان احداً من عائلته ذهب قبله الى اكسفورد».

ورفع حاجبيه باستغراب وقال:

«حقاً؟».

كان يتكلم بهدوء، وشعرت انه يقوم بدراستها بحرص وامعان اكثر حتى مما تفعل هي. ولم يحاول اخفاء ذلك مما دفع قلبها للخفقان بشدة.

وادركت ان هناك شيئاً ما فيه يجعلها تضطرب، فقبضت بشدة على حقيبتها عندما انحنى وتقدم بكرسيه الى الأمام، ووضع كلتا يديه على المقعد امامه في حين ان قميصه المفتوح الازرار اظهر لونه البرونزي وصدره الواسع، والذي وجدته لورا مثيراً في تلك الحالة.

وتذكرت تحذير هنري العجوز والكتاب الذي حكى قصة حياته. وبالرغم من انها كانت تحاول التفكير فيه فقط على انه خال جاك فقد وجدت ذلك من الصعوبة بمكان، فهناك شيء ما حوله لم يجعله يبدو بشخصية الخال.

كان جاك جذاباً ولكن جاذبيته محدودة، خفيف الظل ويحاول جهده ان يكون مغرياً ولكن هوغو جيرارد كان مختلفاً تماماً. بالطبع اكثر نضجاً واقل وضوحاً ولم يكن يهمه كثيراً ان يرضي من معه ولكن عجرفته شكلت جزءاً كبيراً من جاذبيته.

لم يكترث فيما لو اعجبت به النساء ام لا بعكس ما شعرت لورا،

فإن النساء يعجبن به. بدا عليه انه يحمل بعض القوة الرجولية التي لم تكن موجودة عند جاك مما جعلها تشعر بالخطر وانه من المستحيل ان تعمل عنده، فعاجلاً ام آجلاً ستتشاجر معه بحدة دفاعاً عن نفسها.

وادركت كم من الوقت بقيت صامتة وهو يراقبها بعينين محبتين للاستطلاع، حاولت ان تعيد نفسها الى الواقع وتعتذر لعدم اجابتها، وبادرته بالقول:

«ايها السيد. . .».

ولكنه لم يسمح لها بالمتابعة وقاطعها قائلاً:

«ماذا اخبرك جاك يا آنسة؟».

وتساءلت عما كان يدور في مخيلته، وسألته:

«عمّاذا يا سيد؟».

وهز كتفيه بلا مبالاة وقال:

«عن كتبي وعني ربما».

وهزت رأسها واجابته بصراحة:

«القليل عن كلاكما يا سيد، فقلما يتكلم جاك عن عائلته».

فقال لها بهدوء وعيناه الرماديتان تشعان:

«انني اتساءل يا آنسة، هل هي مجموعة جيرارد التي استقدمتك للعمل ام انها سمعة هوغو جيرارد؟ هذا سؤال منطقي على ما اظن توافقيني عليه؟».

واجابته بسرعة وغضب وقلبها يخفق بسرعة، وقد امسكت بحقيبتها بشدة اكثر قائلة:

«لا شيء من هذا القبيل».

وشعرت باحمرار وجهها ونظرت اليه بغضب، وحاولت ان تهدىء نفسها لكي لا تنهض وتترك الغرفة، ولكنها حاولت ان تتعقل. فهي لا تعمل الآن، وبعد ان سافرت كل هذه المسافة من اجل المقابلة

فيجب ان تنهيها على الأقل، وقالت بصوت متهدج وبضيق:

«فكرة العمل عندك يا سيد كانت فكرة جاك وليست فكرتي. حتى اني لم اعرف انك خاله حتى اخبرني منذ يومين».

«حقاً».

وبدا عليه عدم التصديق مما ضايقها اكثر وقالت بغضب:

«وبامكانك ان تصدقني او لا فهذا لا يهمني».

ولاحظت انه سر لغضبها اكثر من ان ينزعج وتمنت لو انها تسيطر على الموقف اكثر بعد ذلك.

وسألها قائلاً:

«ولماذا يجب الا اصدقك؟».

«لأنه يبدو عليك انك تظن. . . ؟».

ولم تتابع كلامها وعضت على شفتها وتذكرت انه ليس مجرد رب عمل جديد فترضيه، وانما خال جاك ايضاً، وتابعت قائلة بهدوء اكثر:

«عندي شعور بأنك تشك بدوافعي للقدوم هنا سيد جيرارد. ولكن الحقيقة ان جاك هو الذي اصر على مجيئي للمقابلة والتقدم لهذا العمل، واكثر من ذلك فقد تأكد من اني سأحاول بأن اجبر السيد ستودارد على طردي من العمل».

«حقاً؟».

وبدا عليه عدم التصديق لما تقوله واحترس اكثر. وتمنت لو انها لم تشرح دور جاك في قدومها بصراحة، ووضع ذراعيه على المقعد وشعرت بقوة شخصيته اكثر، وسألها:

«وكيف توصل الى ذلك يا آنسة كولتون؟».

لم يكن من السهل ان تشرح له، ومن المؤكد انه لن يفهم ردة فعل العجوز هنري ستودارد وحتماً لن يعتبر العناق سبباً كافياً لطردها من

عملها. وترددت قبل ان تقول بصوت متهدج:

«عانقني».

وانتظرت ضحكته الرنانة او تهكمه، ولكن لم يحصل شيء من هذا وانما استمر بالتحديق بها بعينين ثابتتين ومن ثم قال:

«وهذا ما توقعته منه يا آنسة، وان لم يفعل ذلك لما كان يستحق عائلته»

واجابته:

«ولكن ليس على مرأى من ب عملي».

وسألها بهدوء:

«وبدون ارادتك؟».

هزت رأسها بدون تفكير. فهز رأسه وقطب حاجبيه وقال:

«يا له من شاب احمق».

واستند مرة ثانية في كرسيه وعقد يديه معاً مما اظهر طول وقوة اصابعه، وارادت ان تقول شيئاً، ربما ارادت ان تصرح بأنه لا يمكن ان يلوم جاك مئة بالمئة على طردها، ولم يكن من السهل ايجاد الكلمات المناسبة.

بعد دقيقة او اثنين سألها:

«الم يدرك السيد ستودارد انها لم تكن غلطتك؟»

وحاولت لورا ان تكون عادلة بجوابها، وقالت:

«أظن انه كان غاضباً بسبب تردد جاك كثيراً على المكتبة دون ان يشتري شيئاً».

«بسببك؟»

وشعرت بالارتباك فجأة وهزت رأسها، بالرغم من انه لم يشعر ان هناك من سبب يجعلها ترتبك. واعترفت قائلة:

«أظن انه بسببي».

وتفحصها للحظات وقال:

«مهما كان خطأ جاك فهو يتمتع بذوق رفيع بالنسبة الى عمره».

لم تكن لتتوقع مثل هذا المديح الصريح مما اربكها اكثر، فقبضت بشدة اكثر على مقبض الحقيبة وازداد خفقان قلبها وقالت:

«سيد جيرارد انا لست متأكدة اني مناسبة لك، اعني، انني لمجموعتك».

وبالرغم من محاولتها لتصليح ما قالت، شعرت بأنها تزيد في الخطأ اكثر فأكثر. وبدت الابتسامة في عينيه وقال برقة:

«أنت تعنين بمجموعة كتبي يا آنسة أليس كذلك؟».

فاحمر وجهها وعضت على شفتها وشعرت بمدى سخفها وقالت بغضب:

«بالطبع يا سيد، أرى أني اخطأت بالحضور، عرفت أني لن أناسب العمل وقلت ذلك لجاك. أنا لست من نوع الموظفات الذي تبحث عنه، على الاطلاق».

«ألست مناسبة؟».

وهزت رأسها بالنفي وقالت:

«كلا، انني متأكدة بأنك تفضل واحدة من نساء بلدك، فأنت لست معجباً بالنساء الانكليزيات، أليس كذلك؟».

ولمعت عيناه الرماديتان وقال:

«أنت قرأت كتاب «الحياة والحقيقة» أليس كذلك؟».

واعترفت قائلة:

«أنا قرأت الترجمة الانكليزية».

وتمنت الا يسألها رأيها، فقد وجدت الكتاب شيقاً الى حد كبير، بالرغم من انه حقير في بعض الأحيان، ولكنها ستخجل من اعطاء رأيها بصراحة.

وبعد لحظة صمت طويلة، كانت لورا فيها تدعو الله الا يسألها، إلا انه بادرها قائلاً:

«هكذا اذن؟».

وقالت:

«بالتأكيد إن رأيي لا يهمك يا سيد».

ولمعت عيناه بالتحدي ونظر اليها وقال:

«ولكنه يهمني يا آنسة كولتون».

وعرفت انه لن يسمح لها بالتهرب من الجواب. وترددت واجابته اخيراً بنوع من الموضوعية واللااهتمام حتى انها هزت كتفيها وقالت:

«انه جيد».

ولم يجبها للحظة، ولكنها لاحظت في عينيه عدم التصديق والانزعاج لطريقة اجابتها وشعرت بتقلص في معدتها، وحاولت ان تتحاشى نظراته.

وقال بهدوء:

«انني ممتن لتقديرك يا آنسة».

واحمر وجهها، وقبضت على حقيبتها بقوة اكثر وقررت ان تترك المكان، فوقفت فجأة مصممة على الا تطول هذه المناقشة اكثر. وكان واضحاً من موقفه حتى الآن انه لن يوظفها بأي حال من الأحوال، والانطباع الذي كونته عن الكاتب والشخصية التي كتبها كان صحيحاً، فهو لم يكن معجباً بالنساء الانكليزيات ومن المؤكد بعد ان اعطت رأيها بكتابه بهذه الطريقة أنها قد اضاعت الفرصة نهائياً.

وتوقفت امام المكتب الخشبي الضخم محاولة ايجاد الكلمات المناسبة لتنهي الموقف بدون ان تحرج نفسها اكثر. وكما توقعت فقد سقط شعرها وبدأت خصلاته تتدلى على رقبتها، وشعرت بصغرها وقالت بتردد:

«أنا... أنا لن آخذ من وقتك اكثر يا سيد جيرارده.
وأمسكت حقيبتها بكلتا يديها وكأنها في حالة دفاع وتابعت:
«أنا ممتنة لك لأنك قابلتني ولأنك دفعت مصاريفي، وقد اخبرت جالك بأن قدومي ما هو الا اضاعة للوقت والنقود».
«هكذا اذن؟».
وكان ما يزال يجلس في كرسيه وقد عقد يديه وسألها بهدوء:
«اذن أنت لا تريدين العمل عندي يا آنسة؟».
وترددت لورا، فهي نفسها لا تعرف الجواب على هذا السؤال، ولكن لم تكن قادرة على ان تصرح بذلك، ولم تصدق انه لم يكن يتنفس الصعداء لمغادرتها المكان. وعلى العكس فكان يحدق بها بثبات، وعلى ما يبدو ان سؤاله كان جدياً وكان بانتظار الجواب.
ونظرت اليه بتردد وقلبها يخفق بشدة وقوة وقالت:
«أنا... بالطبع اريد العمل ولكنني ظننت...».
وأجابها بهدوء:
«أنت لم تعطيني فرصة يا آنسة كولتون لأقرر. هل انت متسرعة دائماً هكذا؟».
واعترفت وصوتها يرتجف:
«كلا ليس دائماً. ولكن لا يمكن انك تعني...».
وقاطعها قائلاً:
«اذا كنت راغبة بتصنيف مجموعتي يا آنسة فعندك الفرصة لتفعلي ذلك. الا اذا كنت لا تفضلين العمل عند رجل له مثل سمعتي، فبالطبع ستعودين الى بلدك وتجدين عملاً مناسباً اكثر».
وفجأة اصبحت لورا متأكدة مما تريد، حتى لو ان تلك الاشارة بالنسبة الى رجل في سمعته كانت بمثابة تحذير فلم تستطع مقاومة فكرة العمل بكل هذه المجموعة الجميلة من الكتب. وأومأت

برأسها ولم تدرك انها كانت تبتسم ايضاً. وقالت بصوت متقطع:
«اود ان آخذ هذه الفرصة. شكراً لك سيد جيرارده.
ووقف بدوره وتقدم نحوها، مما اشعرها بأنها صغيرة ومرتبكة. فقد كانت شخصيته قوية جداً بحيث لا يمكن لأحد ان يشعر بالارتياح معه، وتمنت لو ان جالك كان موجوداً ايضاً.
ونظر الى حقيبتها التي قبضت عليها بشدة، وبدت الابتسامة على وجهه وقال برقة:
«وهل وضعت كل ممتلكاتك في هذه الدنيا داخل هذه الحقيبة يا آنسة؟»
ولم يعطها فرصة لتجيب، وتابع:
«انك متمسكة بها بشدة».
وحاولت لورا ان تشرح له قائلة:
«انها حقيبة لقضاء ليلة».
واحمر وجهها لأنها تعرف بأنه يسخر منها، وقالت:
«أظن ان جالك حجز لي غرفة في القرية».
وأجابها:
«جالك طلب منا ان تقضي الليلة هنا».
ومد يده ليأخذ الحقيبة وقال:
«كان يجب ان اريحك منها منذ وصولك، اعتذر لأني لم افعل ذلك ولكنك تبدين متمسكة بها الى حد كبير».
كان يسخر منها، وشعرت بالضيق ولم يكن بامكانها ان تفعل اي شيء بدون ان تضيع على نفسها فرصة العمل الجديد، واعطته الحقيبة مجبرة وقالت بتشكك:
«لم ادرك اني سأبقى هنا».
«ونظر اليها بثبات وقال:

«ألم يشرح لك جاك ان الوظيفة عندي تتضمن الاقامة هنا؟».

ووقفت متحيرة للحظة تفكر بالاحتمالات وقالت:

«لا لم يخبرني».

ومن ثم ادركت ما جرى وقالت:

«كان عليّ ادراك ذلك بالطبع لأنه سيعود الى البيت ليبقى بعد انتهاء الفصل الدراسي، وقد قال إنه سيكون موجوداً بينما أنا أعمل».

وأجابها هوغو جيرارد بصوت اكد لها انه لن يتقبل سخافات من ابن اخته قائلاً:

«جاك لن يتدخل في ساعات عملك اذا عملت عندي يا آنسة كولتون، اتمنى الا تتخذي من ذلك عذراً لك لتأخذي اجازة طويلة برفقة جاك».

وأجابت بحزم:

«بالطبع لا. أنا لا ادري...».

وقطعت كلامها عندما طرق احدهم الباب ونظرت باتجاه الباب الذي فتح ودخلت امرأة في منتصف الستينات من عمرها حسب تقديرها، ولا بد انها السيدة جيرارد جدة جاك والمشاركة في المسؤولية مع هوغو جيرارد عن ثروة جاك.

عيناها بنيتان كعيني جاك ووجهها اسمر صغير، واومأت بالاعتذار المصطنع لأبنها لأن غرضها من القدوم هو ان تلقي نظرة على لورا. ويبدو ان هوغو جيرارد احس بذلك ايضاً، لأنه عبس ومن ثم ابتسم لأمه وقال:

«ماما، هل بامكاني خدمتك؟».

وأجابته وهي ما زالت تدخل الغرفة نحوها وابتسمت للورا وقالت:

«اعذريني يا هوغو، لم اعرف بأنك مشغول».

وتنهد هوغو جيرارد ولكنه ابتسم ووضع يده على ذراعها وقدم لورا لها قائلاً:

«أظن انك تعرفين اني مع الآنسة كولتون يا اماه. ولهذا قدمت، أليس كذلك؟ اسمحي لي ان اقدم لك الآنسة لورا كولتون. وهذه والدتي السيدة جيرارد».

وصافحتها العجوز بيد صغيرة ولكنها قوية بحرارة، وابتسمت لها لورا. لأن تحيتها اختلفت تماماً عن استقبال هوغو لها.

وقالت لها السيدة جيرارد بلغة انكليزية مكسورة بشكل واضح اكثر من لهجة ابنها:

«اخبريني يا آنسة كيف حال جاك؟ هل رأيته مؤخراً؟».

وأجابتها لورا مبتسمة ونقلت لها رسالة جاك قائلة:

«لقد رأيته البارحة وهو يرسل لك كل الحب وسيراك قريباً».

وابتسمت السيدة جيرارد بابتهاج وأومأت برأسها وقالت:

«يسعدني ان يعود جاك الى البيت مرة ثانية، أليس كذلك يا هوغو؟».

وبالرغم من ان جواب هوغو لم يكن متحمساً بالنسبة نفسها الا ان السيدة جيرارد لم تلاحظ ذلك لأنها كانت سعيدة جداً بعودة حفيدها الى البيت، وابتسمت للورا وقالت:

«لا بد ان جاك قد اخبرك انه المفضل عند جدته يا آنسة، أليس كذلك؟».

وابتسمت لورا بالموافقة، وشعرت بالارتياح للعجوز وفرحت لوجودها معها وقالت:

«شعرت بذلك يا سيدتي».

ونظرت اليها المرأة العجوز بحب فضول للحظة ثم سألتها:

«هل انت قريبة جداً من جاك؟».

ونظرت لورا الى هوغو قبل ان تجيب لسبب لم تدركه، ومما لاحظته على وجهه أنه هو الآخر متحمس لجوابها، وترددت قليلاً قبل ان تجيب قائلة:

«نحن اصدقاء. ولكن ليس كما تظنين بسبب كل المتاعب التي تحملها لأحصل انا على هذا العمل، ولكننا صديقان حميمان».

وسألها هوغو برقة ولكن بدا الاصرار على المعرفة في صوته لسبب ما وقال:

«ليس أكثر من اصدقاء؟».

وصمتت لفترة قبل ان تومىء برأسها بالايجاب وقالت:

«هذا صحيح. لسنا اكثر من اصدقاء».

«هه، فهمت».

وعبس باستغراب، ولاحظت كيف رفعت السيدة جيرارد حاجبيها ونظرت الى ابنها الذي تابع قائلاً:

«اذن فإنه لغريب ان تخبرنا انه يفكر بالزواج منك عند عودته، أليس كذلك يا آنسة؟».

وحدقت لورا به غير مصدقة، ولاحظت ان السيدة جيرارد كانت بانتظار جوابها بقلق. واجابته بصوت متحشرج:

«أنا... ليس عندي فكرة عن هذا الموضوع. لا بد ان جاك ألّف هذه القصة ليحرجني».

وسألتها السيدة جيرارد بتشكك:

«وهل تظنين ان جاك قد يفعل شيئاً من هذا يا آنسة! بالتأكيد لا..».

وأجابها هوغو مؤكداً رأي لورا وقال:

«هذا محتمل يا ماما».

لم تكن لورا تتوقع تأييده لها. ولكنه تابع قائلاً:

«لقد اخبرتني الآنسة كولتون ان جاك عمل على ان تخسر عملها في مكتبة ستودارد ليجبرها على القدوم والعمل عندي».

وقطب جبينه وتابع:

«طبعاً ليس لمصلحتي، ولكن لمصلحته الشخصية لأنه يفكر بأن تكون الآنسة على هواه هنا».

«هذا غير معقول يا هوغو».

وبدا على السيدة العجوز الاستغراب وعدم تصديق مثل هذه الأقاويل عن حفيدها. ولكن هوغو اكدها وهو ينظر الى لورا لتدعمه بتأكيدها وقال:

«هذا صحيح يا ماما. أنت لم تكذبي علي يا آنسة كولتون، أليس كذلك؟».

وأكدت له لورا قائلة:

«بالتأكيد لا. ولكن جاك كان مصمماً ان آتي الى هنا، وعمل جهده لأخسر عملي».

وضحك هوغو بينما شرح لوالدته ماذا حدث وكيف ان تصرف جاك كان كافياً ليدفع السيد ستودارد لطرد الآنسة كولتون في الحال.

وأجابته السيدة جيرارد:

«اوه... ولكن هذا غير طبيعي».

وتقدمت من لورا ووضعت يدها على ذراعها بتعاطف وقالت:

«ولكن هذا مستحيل. الا يوجد قلب عند هذا السيد ستودارد حتى يتصرف بهذا الشكل؟».

وأجابتها لورا في محاولة للدفاع عن هنري ستودارد:

«في الحقيقة انه رجل عجوز لطيف، ولكنه متحفظ نوعاً ما، وجاك يعرف ذلك، ولهذا تصرف بهذا الشكل ليضمن تركي

العمل».

وقال هوغو بصوت حازم غير قابل للنقاش:

«تبدو لي الفكرة سخيفة ولكنني في الوقت نفسه أجد نفسي مضطراً لألوم جاك على تصرفه بهذا الشكل، ليجبر الآنسة كولتون على أن تترك عملها».

وأجابته السيدة جيرارد:

«وأنت تلومه؟ كيف يمكن لك ان تلومه يا هوغو وأنت تعرف أنك مثاله؟».

وتساءلت لورا كيف سيرد على الاتهام، ولكن بعد لحظة أو اثنتين ابتسم وأومأ باتجاه لورا قائلاً:

«ألا يوجد قول في انكلترا يا آنسة كولتون بما معناه: افعل ما أقوله ولا تفعل ما أفعله؟».

٣ - وجودها يسليه... ويغضبه

كانت لورا متحمسة للعودة الى القلعة في وادي الاشجار هذه المرة اكثر مما كانت في المرة السابقة، وخاصة انها كانت قادمة بمخاوفها هذه المرة، فقد فوجئت بقبول هوغو جيرارد باعطائها العمل وموافقته بدون تفكير. والشيء الوحيد الذي كان يغريها وهي جالسة خلف السائق عبر الطريق الضيق المشجر على الجانبين، هو تفكيرها بان جاك قادم خلال اقل من اسبوعين. حقاً ان السيدة جيرارد ودودة ولكنها غريبة عليها، ووجود جاك سيساعدها معنوياً.

لقد فرح جاك كثيراً لعلمه بأنها حصلت على العمل عند خاله ولكنه كالعادة في تسرعه اعلن انه سينقطع عن الايام الاخيرة من الفصل الدراسي ويعود معها عندما تذهب لاستلام العمل الجديد.

وكان من الصعب اقناعه بألاّ يفعل ذلك، ولكنها افهمته اخيراً بان ذلك لن يساعد في توطيد العلاقة بينها وبين خاله اذا ظن انها السبب في تركه نهاية الفصل الدراسي.

وبدا الريف جميلاً منعشاً تحت اشعة الشمس الساطعة. واخذت تتخيّل نفسها تتمشى مع جاك على ضفة النهر عبر الحقول والمراعي والاشجار المثمرة، وكيف انها ستجد وقتاً لاكتشاف اعماق تلك الغابة. ومن المؤكد انها ستطلب من جاك ان يأخذها يوماً الى باريس في احدى الامسيات لترى حياة الليل هناك.

هناك الكثير مما تود عمله ورؤيته، ولكم سيُسَر جاك بان يريها الريف وباريس. وفجأة تذكرت انه لن يكون عندها الفرصة المناسبة لتذهب في نزهات مع جاك. فقد حذرها هوغو جيرارد اثناء المقابلة على انه يتوقع منها ان تعمل لا ان تنظر للقلعة على انها عذر لتحصل على اجازة مع جاك.

ولم يكن غريباً منه الا يسمح لجاك بالتدخل في عملها وذلك بارساله في احدى الرحلات. ربما في رحلة حول العالم كالتي قام بها هونفسه ليجرب كل ما تسمح له الفرصة بتجربته من تسلية وعمل.

وعادت الى الواقع فجأة عندما دخلت السيارة في مدخل القلعة، وقفز قلبها وبدأ يخفق بشدة وشعرت بالقلق وعضت على شفتها لحماقتها.

وعوضاً عن ايصالها الى الباب الامامي للقلعة، اخذها السائق الى الباب الخلفي. وعوضاً عن الشمس الساطعة كان الفناء بارداً والنوافذ صغيرة مما اشعر لورا بشكل عام بالضيق والتحسب. ونزل السائق من السيارة وتقدم اليها ليفتح الباب وابتسم لها قائلاً:

«تفضلي من هنا يا آنسة».

وتقبلت المساعدة وخرجت من السيارة تتطلّع حولها بحب استطلاع وأدركت انه احضرها الى الباب الخلفي للقلعة لانهم بدأوا يعتبرونها موظفة لا كصديقة لجاك. ولما تذكّرت كيف تركها السائق في المرة الاولى لتكتشف طريقها، نظرت اليه بقلق وهو ينزل حقائبها وشعرت بالكآبة لوضعها وقالت:

«انا. . . انا لست متأكدة اين يجب ان اذهب. هل يمكنك ان. . .».

واجابها بابتسامة:

«بالطبع يا آنسة».

وحمل حقيبتها بدون اي صعوبة بالرغم من قصره وقال:

«ارجو ان تأتي معي».

وبالرغم من ازدياد قلقها من لحظة الى اخرى، تبعته. وشعرت بالاضطراب وسرت الرعشة في جسدها عندما سمعت طرق حذائها على الارض، فهناك شيء مميز في هذا الجزء الهادىء من القلعة.

وتقدم السائق من باب مدهون قائم في منتصف احد الجدران الحجرية وفتحه برفسة من قدمه وطلب منها مبتسماً ان تدخل ووقف جانباً لتتقدمه. كان الجو بارداً ومعتماً والمكان ضيقاً، ومن ثم تقدمها السائق مرة اخرى.

وتوقعت ان تجد نفسها في المطابخ ولكنها ادركت أنهما متجهان الى القاعة الواسعة التي رأتها في المرة السابقة، وبالتأكيد خلال لحظات سترى تلك القاعة الضخمة المضيئة، وتنهدت بارتياح. وتوقف السائق قبل ان يصل الى القاعة خلف احد الابواب المغلقة ووضع حقائبها وبدأ ينادي:

«سيدة روسو. هل انت مشغولة؟».

وانفتح الباب فجأة وظهرت مدبرة البيت التي قابلتها لورا قبل ذلك، وبدا عليها الضيق هذه المرة وقالت بحدة.

«سأحضر حالاً».

وتغيّرت لهجتها لما رأت لورا وابتسمت وهزّت بكتفيها لتعبر عن نفاد صبرها من الرجال وقالت بهدوء اكثر:

«صباح الخير يا آنسة. انت الآنسة كولتون، اليس كذلك؟».

واجابتها لورا:

«انا لورا كولتون».

ونظرت اليها بقلق وتابعت:

«انا آسفة يا سيدة، لأنني لا اتكلم الفرنسية».

«آه بالطبع، ولكنني نسيت، انني آسفة يا آنسة».

وهزت لورا رأسها وابتسمت لمدبرة البيت التي من الممكن ان تساعدها في المستقبل وقالت:

«يجب علي ان ابذل جهداً لأتعلم، انني لم احاول منذ ان تركت المدرسة».

وللحظة نظرت اليها المرأة بلطف ولكن بتفحص وابتسمت مرة ثانية وقالت برقة:

«ويبدو ان الآنسة لم يمض عليها وقت طويل منذ ان تركت المدرسة».

وتابعت بلهجة تظهر الأسف:

«انت صبية يا آنسة».

ولم تعرف لورا سبب نظرات السيدة وقالت:

«لست صغيرة جداً».

ولكن نظرات السائق الخبيثة المعبرة جعلت وجهها يصطبغ باللون الاحمر.

وقابلته السيدة روسو بتقطيبة حاجبين غير مشجعة وقالت:

«احضر حقائب الآنسة يا روبرت. اتبعيني يا آنسة سأريك غرفتك».

وتقدّمتها مدبرة البيت الى القاعة باتجاه الدرج الضخم الذي اعجبت به لورا منذ المرة الاولى وشعرت بمنتهى السعادة لأنها ستعيش في مثل هذا الجو ولو لفترة محدودة. ولحقها السائق حاملاً حقائبها، ولم يصعدوا الا درجات قليلة الا وفتح احد ابواب القاعة فجأة، فاستدار الثلاثة، وتوقعت لورا ان يكون القادم هوغو جيرارد وشعرت بتسارع دقات قلبها وضغطت على قبضتيها، ولكنها كانت السيدة جيرارد التي تقدمت عبر القاعة وأومأت برأسها للورا مرحبة

وقالت:

«صباح الخير يا آنسة كولتون. انا سعيدة بقدومك. ارجو ان تكوني قد استمتعت برحلتك».

«نعم، شكراً لك يا سيدة جيرارد».

وتردّدت فيما يجب ان تفعل، هل تصعد السلم ام تبقى في مكانها، ولم يطل شكها، فقد اشارت السيدة جيرارد الى السائق ليأخذ الحقائب الى الطابق العلوي وابتسمت الى لورا وقالت:

«الا نجلس قليلاً لنتكلم قبل ان تصعدي الى غرفتك؟ تعالي لتخبريني عن حالك».

«نعم، بالطبع».

ونزلت لورا السلم. بينما فهمت مدبرة البيت انه عليها ان تعود. واومأت برأسها الى مستخدمتها وانصرفت قائلة:

«سأصطحب الآنسة الى غرفتها عندما تصبح جاهزة».

وسألت السيدة جيرارد قائلة:

«الآنسة ستبقى في الغرفة التي بقيت فيها لليلة واحدة، اليس كذلك؟».

ولما اومأت مدبرة البيت. ابتسمت السيدة جيرارد للورا قائلة:

«يجب ان تشعري انك في بيتك الآن يا آنسة كولتون، ولا بد انك تعرفين غرفتك أليس كذلك؟».

وأجابتها لورا:

«اظن ذلك».

وفوجئت بترحيب السيدة جيرارد ولكنها كانت تتساءل فيما لو كانت قادرة على ايجاد غرفتها بين هذا العدد الكبير من الابواب في الدهليز نفسه.

وقالت السيدة جيرارد وهي تلمس بأصابعها ذراع لورا لتريها

الطريق:
«انني لم اسمع وصولك يا آنسة، فعادة اسمع صوت السيارة، ولا اعلم لماذا لم اسمعها اليوم؟».
وابتسمت لورا مجيبة:
«ربما لاننا اتينا من المدخل الخلفي».
وفوجئت لورا بالتعبير الغاضب على وجه السيدة جيرارد وسألتها بحنق:
«أتعنين انهم اخذوك الى الباب الخلفي؟».
وكانت عينا السيدة جيرارد تلمعان بالغضب تماماً كما كان يفعل جاك في بعض الاحيان، وادركت لورا انها سببت المشاكل للسائق بدون قصد منها.
وحاولت ان تؤكد للسيدة جيرارد قائلة:
«ولكن هذا لا يهم على الاطلاق. اعتقد ان الموظفين جميعهم يدخلون من الباب الخلفي».
وردّت السيدة جيرارد بحنق قائلة:
«الموظفون؟ انت صديقة حميمة لحفيدي يا آنسة كولتون ولن اقبل على الاطلاق ان تدخلي من الباب الخلفي عندما تحضرين لمنزله. ولن اسمح بذلك. وماذا سيقول جاك عن ذلك هه؟».
ودهشت لورا لردّة فعل السيدة جيرارد وتساءلت عمّن يكون قد اتخذ هذا القرار، ان تدخل هي من الباب الخلفي، وبما انه من الواضح انه ليس قرار السيدة جيرارد وهي لا تعرف بعد المالك الحالي للقلعة بالرغم من انها افترضت انها السيدة جيرارد، ولكن الآن يبدو انها ربما مخطئة. وعلى ما يبدو انه من نوعية القرارات التي تصدر عن هوغو جيرارد.
واجابت لورا بهدوء قدر المستطاع محاولة شرح الامر للسيدة

جيرارد قائلة:
«ولكنني ساعمل عند السيد جيرارد، وربما هذه اوامره ان ادخل من الباب الخلفي. في اي حال فهذا لا يهم يا سيدتي».
وناقشتها السيدة جيرارد بلهجة قوية غاضبة:
«ولكنه بالتأكيد يهم. واذا كانت هذه اوامر هوغو فسأكلمه بهذا الشأن. ويجب ان تعاملي كصديقة لجاك يا آنسة، ولن اسمح بغير ذلك».
كان طبعاً تصرفاً يبعث على القناعة والسرور ولكن لورا توقعت بعض المصاعب فيما لو عوملت على انها صديقة لجاك وليست موظفة عند خاله. وفكرت كيف يمكنها ان تعدّل الامور بدون ان تسبب الازعاج.
وبدا الاصرار على السيدة جيرارد، وربما كانت قوة ارادتها واصرارها كقوة ارادة ابنها فيما اذا صممت على امر.
وتمتمت لورا قائلة:
«انت لطيفة جداً يا سيدة جيرارد، ولكن ربما ان السيد جيرارد...».
ورمقتها بنظرة ثابتة من عينيها البنيتين بينما كانت تفتح الباب وابتسمت ابتسامة خبيثة ذكرتها بجاك وقالت:
«هوغو سيد في بيته ولكنه لا يريد ان يغضب امه يا آنسة».
وابتسمت لورا وشعرت فجأة انها قادرة اكثر على التصرف بما يعترضها. وبما ان السيدة جيرارد في صفها فستصبح الامور أسهل بكثير، وقالت:
«انا متأكدة بانك على حق يا سيدتي».
وكانت الغرفة التي دخلتاها في مستوى بقية الغرف التي رأتها لورا ونظرت حولها بسرور. وتذكرت انها دخلت هذه الغرفة عندما قضت

ليلة في المرة الماضية ولكنها كانت وقتها مرتبكة بحيث لم تترك اي ذكرى في مخيلتها.

كانت السجادة سميكة بلون ازرق غامق تتناسب الوانها مع الجدران المذهبة والاطار الذهبي المزخرف بعرض ثلاثين سنتيمترا ليصل الى السقف المزين بالتماثيل المنحوتة الجميلة. في حين تدلّت ثريتان من الكريستال تشعان بشكل رائع. والجدران مزينة ببعض اللوحات الشبيهة باللوحات التي زينت غرفة المكتب التي قابلها فيها هوغو، ولكن معظم تلك اللوحات تمثل سيدات بلباس رسمي، كذلك الذي اختفى ايام الثورة، وتساءلت لورا فيما لو كانت تلك اللوحات تمثل افراداً من العائلة.

كان الاثاث يعود الى فترة حديثة اكثر واختير لانه مريح ولكنه كان انيقاً وغالياً ونمّ عن ذوق رفيع. ولاحظت السيدة جيرارد اهتمامها واشارت اليها بالجلوس ومن ثم اشارت الى الغرفة ككل قائلة:

«هل اعجبتك هذه الغرفة يا آنسة كولتون؟».

واومأت لورا برأسها بدون تردد وقالت باخلاص:

«انها جميلة. كل جزء شاهدته من القلعة الى الآن جميلاً، ولم يخطر لي انه ما زال هناك اناس يسكنون في مثل هذه القصور».

واجابتها السيدة جيرارد وهي تهز رأسها:

«قليل من الناس في الواقع يسكنون في مثل هذه الامكنة، فاكثرها اصبح متاحف او اماكن عرض عامة، ولكن عائلة جيرارد محظوظة يا آنسة فهم ما زالوا يملكون هذا القصر. وللأسف فرجال العائلة لا يقدرون دائماً، الى ان يتقدموا في السن وعندها يهتمون بالامور المنزلية اكثر من الامور الاخرى».

وكان من السهل جداً ان تقدر لورا ماذا كانت تعني الامور الاخرى. وتذكرت لورا التحذير الذي سمعته للعمل عند رجل

كهوغو جيرارد.

فحتى والدته كانت تميز اهتماماته ولكنها تقبلتها على انها واقع. وربما انه من المتوقع لجاك ان يسير بالخطى نفسها. وسألتها لورا:

«انه منزل له تاريخ أليس كذلك؟».

وابتسمت السيدة واومأت برأسها ببطء وقالت:

«انه منزل عائلة جيرارد لفترة طويلة من الزمن ولكنه لم يكن بحالة جيدة طوال الوقت يا آنسة. فقد تمّ ترتيب العديد من الزيجات في الماضي لغرض الحفاظ على الممتلكات من الانهيار، ولكن...».

ومن ثم هزّت كتفيها وابتسمت وتابعت قائلة:

«في الوقت الذي خسرت العائلات الاخرى ممتلكات كهذه، حافظت عائلة جيرارد على قصرها بحرص».

وحدّقت لحظة بلورا قبل ان تتابع:

«الحقيقة يا آنسة ان رجال عائلة جيرارد قساة وواثقون من انفسهم الى حدّ كبير».

وفكرت لورا- تماماً كهوغو- وبالتأكيد ان السيدة جيرارد تعرف ابنها على حقيقته بالرغم من انها تحبه كثيراً. ولا بد ان افراد العائلة الحاليين صورة على مثالهم في جاذبيتهم للنساء، فجميعهم على ما يبدو استغلوا هذه الحقيقة الى آخر حد. ولاحظت ان السيدة جيرارد كانت تفحصها بعينيها البنيتين فاعادت لورا نفسها الى الواقع بسرعة وابتسمت باعتذار وسألتها السيدة:

«هل تظنين انك ستسرين بالعمل عند ابني؟».

وفكرت لورا قبل ان تجيب ونظرت في يديها واعتدلت في جلستها، وحاولت الا ترى السيدة جيرارد شيئاً من الشك الذي شعرت به وقالت:

«اتمنى ذلك يا سيدتي».

وادركت انها فشلت في اقناع السيدة جيرارد بعدم شكّها عندما تقدمت الاخيرة في كرسيها ولمست يد لورا محاولة لفت انتباهها وسألتها برقة:

«انت... على ما اظن خائفة من هوغو؟».

وفوجئت لورا الى حد كبير لأن مشاعرها بدت واضحة بهذا الشكل، وقالت معترفة:

«في الحقيقة لا اعرف. لم اكن احلم بان اتقدم لعمل كهذا على الاطلاق، لو لم يجبرني جاك وكذلك السيد جيرارد».

واصرّت عليها السيدة العجوز قائلة:

«ولكن لم لا؟ اظن بأنك جيدة في عملك والا لما وظفك ستودارد. انا سمعت عنه».

وضحكت وتابعت قائلة.

«ابني وحفيدي ذكرا لي عنه وهو لن يوظف حمقاء. ويجب الا تخافي من عدم قدرتك القيام بهذا العمل يا آنسة».

وفكرت لورا- ولكن لا يمكنني ان اقول لك بأنهم حذروني من العمل عند هوغو جيرارد، ولن اقول لك ان لقائي الاول معه لم يكن ناجحاً جداً بالرغم من انه منحني العمل- ومن ثم قالت للسيدة:

«بالطبع لا».

ومرة اخرى امسكت العجوز بيدها وقالت برقة:

«ستسعدين هنا يا صغيرتي. سوف تعتادين علينا قريباً...».

ومن ثم نظرت اليها بتمعّن وابتسمت متابعة:

«وقريباً سيحضر جاك وستعجبك الاقامة هنا، اليس كذلك؟».

ويبدو ان انكارها يوم المقابلة لم تصدّقه السيدة جيرارد. فما زالت تظن ان العلاقة بينها وبين جاك اعمق مما هي.

وبادرتها لورا بالكلام قائلة:

«يا سيدتي، يبدو ان فكرتك خاطئة عن طبيعة علاقتي بجاك».

واجابتها المرأة العجوز برقة وقالت:

«اهذا صحيح يا صغيرتي؟».

واصرت لورا قائلة:

«انا لا اعرف شيئاً عن رغبته في الزواج مني. فلم يخبرني بأي شيء من هذا القبيل، ولم اكن لاحضر الى هنا واقبل بالعمل لو اخبرني».

وشعرت بان عيني العجوز بدأتا تنمان عن القسوة وكأنه لم يعجبها الكلام، ولكنها ابتسمت وهزّت رأسها وسألت لورا:

«انت لا يعجبك جاك؟».

وفكرت لورا بسرعة وقالت:

«انا معجبة به الى حدّ كبير، ولكن ليس الى الحد الذي يدفعني للزواج منه لو طلب ذلك».

وذكّرتها المرأة العجوز قائلة:

«ولكنك الآن تعيشين معه في بيت واحد اليس كذلك؟».

ربتت على انفها باصبعها علامة للمعرفة وابتسمت متابعة:

«من يعرف هه؟».

وتذكرت لورا المقابلة مع هوغو وعبست قائلة:

«لا اظن ان ذلك سيكون سهلاً ايضاً. فقد حذرني السيد جيرارد اني هنا لأعمل عنده ولن يسمح لي باعتبار نفسي في اجازة مع جاك».

واجابتها السيدة جيرارد:

«يا له من ابن قاس. بالطبع يجب ان تشاهدي جاك وتذهبي معه بينما انت هنا يا آنسة. وانا لن اسمح لهذا القاسي بان يبقيك تعملين ليلاً ونهاراً. لا تخافي يا صغيرتي، فانا لن ادعه يقسو عليك».

وشعرت لورا بالمبالغة في الكلام ولكنها لم تناقش السيدة وانما

اكتفت بالابتسامة، ونظرت بسرعة باتجاه الباب الذي فتح ليدخل هوغو جيرارد، واحمرّ وجهها لانهما كانتا تتكلمان عنه.

وعبس لدى رؤيته لورا، وكأنه لم يرض عن وجودها هناك. وساد الصمت للحظة الى ان بادرته السيدة جيرارد بالتحية والابتسامة واشارت له بيدها ليجلس بجانبها. وبالرغم من انه تقدم اليها، فانه لم يبتسم وامسكت السيدة جيرارد بيده ونظرت اليه باستياء ومن ثم نظرت الى لورا وقالت له:

«لقد وصلت الآنسة بسلام».

واومأ برأسه باختصار وقال بصوت هادىء:

«أرى ان الآنسة قد وجدت صديقة لها. لم اعرف انك وصلت يا آنسة كولتون. فما من احد اخبرني».

واعتذرت لورا بقولها:

«انا آسفة».

وقاطعتها السيدة جيرارد بقولها:

«لأن السائق روبرت قد احضر الآنسة من الباب الخلفي يا عزيزي».

وكان لا يزال يحدق بلورا التي شعرت بأنه ربما عليها ان تقف احتراماً له.

وشعرت بالكآبة لتأثيره عليها، وخوفها منه وقلبها يخفق بقوة. وأجاب بقوله برقة:

«وهل اعترضت الآنسة؟».

وكأنها كانت مع والدته لتعترض.

وانكرت لورا بسرعة قائلة:

«لا، لم اعترض».

ولاحظت الابتسامة في عينيه عندما ضغط على يد امه وقال:

«اذن، ليس هناك من حاجة لاحتجاجك يا اماه».

وأصرّت السيدة جيرارد بقولها:

«بالطبع هناك حاجة. فالآنسة كولتون صديقة حميمة لجاك، ولذلك لن اسمح بادخالها من الباب الخلفي».

وسألها بقوله:

«وهل تظنين بأنني اعطيت اوامر بذلك؟».

وهز رأسه بالنفي قبل ان تسنح لها الفرصة بالاجابة وتابع قائلاً:

«انا لم اعط اية اوامر يا اماه، فببساطة علم روبرت ان الآنسة عندي وافترض انها ستعامل كبقية الموظفين».

واستدار الى لورا ينظر اليها بتفحص وقال:

«واذا كانت الآنسة قد جرحت لهذه المعاملة، فسأطلب من روبرت ان يعتذر لها، اهذا ما ترغبين به يا آنسة كولتون؟».

واجابت لورا بتسرع:

«اوه، لا، لا بالطبع، لا».

وكان لا يزال يحدق بها بحيث تمنت لو انشقت الارض وابتلعتها من فرط ارتباكها.

وتابع هوغو قائلاً باصرار:

«الم تشتكي لأمي عن سوء معاملتك؟».

وقبل ان تتاح لها الفرصة للاجابة تدخلت السيدة جيرارد وقالت:

«بالتأكيد ان الآنسة كولتون لم تشتكي يا هوغو. انا اعترضت».

وابتسم لها بصبر وحب وهز رأسه وضغط على يدها قبل ان يتركها، وجلس في كرسي قريب منها مقابلاً للورا وقال:

«انت متحمسة لتشكيل الاحزاب يا اماه. وانا متأكد بان الآنسة كولتون ليست بحاجة لحمايتك، اليس هذا صحيحاً يا آنسة؟».

واحمرّ وجه لورا واصبحت متأكدة انه يحاول ارباكها عن قصد.

فرفعت رأسها وبدت في عينيها الرماديتين نظرات الدفاع، وقالت بحزم:

«انا قادرة على الاعتناء بنفسي يا سيد».

وابتسمت السيدة جيرارد مؤيدة لها. فمن الواضح انها لم تر شخصاً من قبل يواجه ابنها. وحدّق بها للحظة وشعرت بانه يبتسم لنفسه، ولم يظهر ذلك الاّ في وميض خفيف في عينيه وقال:

«جيد».

ومن ثم استدار الى امه وقال:

«لقد حجزت مخابرة هذا المساء يا اماه. فها انا قد قمت بدوري وما عليك الا التمني بأن يكون جاك هناك عندما تأتي المخابرة».

ولمعت عينا السيدة جيرارد بالسعادة وقالت:

«أوه، شكراً يا عزيزي، فسيكون رائعاً ان اتكلم معه اليوم».

ومن ثم نظرت الى لورا واومأت برأسها بتشوق وقالت:

«وانت ستتكلمين مع جاك يا آنسة».

وعبس هوغو وبدا عليه الضيق وهز رأسه قائلاً:

«لا اظن ان هناك حاجة يا اماه. فلم تمض ساعات على رؤية الآنسة كولتون لجاك».

«ولكن يا عزيزي، اذا كانا سيتزوجان، اعني الآنسة و....».

وقاطعها بحزم قائلاً:

«الآنسة انكرت معرفتها بمثل هذا الترتيب. وجاك لا يزال صغيراً على الزواج. فلم ينته بعد من المدرسة يا اماه».

واضاف وهو ينظر الى لورا قائلاً:

«وشخصيته غير مستقرة بعد، واظن ان الآنسة كولتون ستوافقني على ذلك».

وشعرت لورا بنوع من الغضب، فليس له الحق ان يصغّر جاك

وهو غير موجود ليدافع عن نفسه وخاصة امام شخص غريب، فقررت الدفاع عنه وقالت بصوت غاضب:

«سيد جيرارد، جاك ليس ذلك الغبي الذي تحاول ان تصوره. انه لطيف ومهذب. وذكي ايضاً والا لما كان في الجامعة».

وفوجىء بردة فعلها واخذ يحدق بها للحظات بثبات وقد وضع كوعيه على ركبتيه وقال بهدوء:

«سترى حقيقة ما قلته اخيراً عندما نرى نتائج الامتحانات».

وابتسم قليلاً قبل ان يتابع بقوله:

«واما ما تبقى من كلامك فانت تتكلمين بنوع من الحزم والسلطة بحيث لا يمكنني الا ان اوافقك».

وفكرت لورا ـ كل ذلك يحمل معاني كثيرة ويبعث في نفسها التوتر .

وتساءلت عن السبب الذي يجعلها تشعر بوجوب الدفاع عن نفسها امامه. فهي بالكاد تعرف الرجل وها هو قادر على اثارة غضبها بسرعة اكثر من اي شخص عرفته. وهذا لن يعطي نتائج خيّرة في علاقتها كرئيس ومرؤوس في المستقبل.

ولشعور السيدة جيرارد بخسارة لورا انحنت الى الامام ولمست يدها محاولة تأكيد تأييدها لها وقالت برقة:

«وانا ايضاً اجد جاك لطيفاً ومهذباً يا صغيرتي. وسيعود الى هنا قريباً وسنسعد نحن ... برؤيته».

ونظرت الى ابنها بطرف عينها وابتسمت وقالت:

«وعندها لن يسير كل شيء على هواك يا عزيزي هوغو، هه؟».

وتسمرت عيناه الرماديتان على لورا مع وميض ابتسامة على طرف فمه العريض وأجاب والدته قائلاً:

«ربما لا».

كانت لورا مستلقية في سريرها في صباح اليوم التالي محدقة بأشعة الشمس الممتدة على جدران الغرفة. كان عليها ان تبدأ مهمتها اليوم بتصنيف مجموعة جيرارد الشهيرة، انها ستسعد بذلك حقاً.

لم يكن هناك من عيب في الغرفة التي اعطيت لها، ويبدو انهم فعلاً عاملوها على انها صديقة جاك وليس كموظفة، فمن المؤكد ان بقية العاملين لا يحتلون غرفاً فاخرة مثلها. ربما، وبالمقارنة مع بعض الغرف في القلعة لم تكن غرفتها كبيرة جداً ولكنها كانت مريحة ومؤثثة بأثاث ثمين. السجادة السميكة بلون الكريم سمحت لها ان تتمشى في الغرفة حافية القدمين، اما الجدران فكانت باللون البيج والذهبي نفسه الذي غلب على معظم جدران القلعة كما لاحظت. حتى انه كانت هناك ثريا صغيرة من الكريستال معلقة في غرفتها، بالاضافة الى ضوء جانبي بقرب السرير. وهناك نافذتان تطلان على حديقة القلعة والحقول البعيدة، حتى تلك الغابة الداكنة.

وبالرغم من الشكوك التي انتابتها حول العمل الذي كان عليها القيام به، او الرجل الذي ستعمل عنده، فلا بد انها محظوظة لان تقضي بعض الوقت في هذا الجو.

كان هوغو جيرارد قد اراها المكتبة بشكل سريع ودهشت لمساحتها.

فالغرفة كانت هائلة الحجم، وفيها ثلاثة جدران مليئة بالكتب من الارض وحتى السقف. وللنظرة الاولى بدت لها مهمتها هائلة وربما تستغرق طوال العمر.

ونظرت الى الساعة المعلقة على الحائط بجانبها وادركت بان عليها النهوض، والقت بالاغطية جانباً وجلست على جانب السرير للحظة. سمعت صوتاً خارج الغرفة عدة مرات وتساءلت فيما لو كان احد العاملين أم انه مديرها الذي استيقظ منذ الصباح الباكر.

وبما ان القلعة كانت مجددة على الطراز الحديث فقد كان هناك عدد كاف من الحمامات، وكان حمامها الخاص صغيراً مؤثثاً بفخامة. وارتدت فستاناً زهرياً وابيض وربطته عند الخصر ونظرت الى المرآة، لتجد شعرها مشعثاً من النوم. وبدت بذلك الفستان اصغر من عمرها الحقيقي، ولوت وجهها في المرآة عندما ادركت ذلك ثم ضحكت وخرجت من الغرفة الى الدهليز الطويل المطل على القاعة.

كانت جميع الابواب على الجانبين مغلقة، وشعرت بالسرور لانها على ما يبدو وحيدة.

نظرت الى القاعة والزخارف، ولم يكن هناك من احد في القاعة ايضاً. واخذت تتأمل الارض الخشبية المزخرفة والسجاد المعلق.

وبدا لها وكأنها في عالم آخر، وهي ستعيش في هذه القلعة الفاخرة وتعمل على كتب لم تكن لتحلم بان تراها. وشعرت بالقشعريرة لتفكيرها بتلك الكتب وابتسمت، واستدارت لتتوجه الى الحمام واذا بها تطلق صرخة لانها اصطدمت فجأة بجسد رجولي ضخم وادارها بيديه بقوة قائلاً ولكن برقة:

«صباح الخير يا آنسة».

واستغرقت لحظة او لحظتين من الوقت لتدرك انها بين يدي هوغو جيرارد وقالت:

«انا آسفة».

وكان صوتها متقطعاً ولم تجرؤ على التطلع اليه، وانما حاولت ان تفلت نفسها من بين يديه، ولم يخطر لها من قبل كم هو طويل، وخاصة بالمقارنة مع طولها.

وتركها ولكن عينيه ظلتا مركزتين عليها، وشعرت بقلبها يخفق بشدة.

«هل نمت جيداً يا آنسة؟».

واومأت لورا برأسها قائلة:
«نعم شكراً يا سيدي».
«جيد».
وللحظة بقيا صامتين ولم يتحركا، وتوجست لورا من شيء جديد ربما سيحصل، ولكنها لم تعرف كنهه.
لونه البرونزي وضح اكثر بقميصه الابيض وعينيه الرماديتين وشعره الاشقر وسألها برقة:
«هل انت ضائعة؟».
وشعرت لورا بتسارع خفقات قلبها وهزت رأسها بالنفي وقالت:
«آه، لا، كنت اتطلع الى الغابة».
ونظرت اليه لتميز ان كان هناك آثار ضحكة في عينيه وتساءلت لماذا يبدو وجودها اما يسليه او يغضبه. وسألها مبتسماً:
«وانت معجبة بكل شيء، اليس كذلك؟ الم يخبرك جاك عن بيته يا آنسة؟».
وشعرت لورا بانه يسخر منها وتضايقت لانه لم يسبق لاحد ان اشعرها بفوقيته وصغرها بهذا الشكل وقالت بصوت مرتجف بالرغم من انها بذلت جهدها لتبدو هادئة:
«انا سعيدة لأن هذا يسليك يا سيد جيرارد. ولكنّ الاختلاف كبير بين منزل صغير في ضواحي انكلترا وبين هذا المنزل الذي يمكن استيعابه بدون اظهار اية ردة فعل. وانا متأكدة بانك تجد هذا بدائياً مني».
ولم ترغب باعطائه فرصة للاجابة وانما استدارت متوجهة الى الحمام، ولكنه استوقفها بيد قوية فحبست انفاسها ونظرت في عينيه حين قال بهدوء:
«آنسة كولتون انك تظلمينني وتظلمين نفسك ايضاً. انا لم اقصد

السخرية منك على الاطلاق».
وبدا لها غريباً ان يقول لها او يحاول القيام بأي تفسير اكثر من ان يهز كتفيه ويتركها، ونظرت اليه وقلبها يخفق بشدة وقالت:
«ليس لك من حاجة للاعتذار يا سيد جيرارد».
ولم يسمح لها بالمتابعة واكد لها قائلاً:
«انا لم اكن اعتذر، ليس هناك من سبب يجعلك تتوقعين مني الاعتذار».
وحدقت به للحظة وشعرت باستغراب لتصرفاته غير القادرة على تفسيرها، وقالت:
«ولكن انت. . .».
وتابع بهدوء:
«كنت افسر، لم اكن اعتذر».
وتمنت لورا لو انشقت الارض وابتلعتها، وشعرت باحمرار وجهها وودّت لو انها لم تخرج من غرفتها، او لو انها توجهت الى الحمام مباشرة بدون توقف على الاطلاق.
وسألته بدون ان تعرف سبب سؤالها قائلة:
«انا لا اعجبك، اليس كذلك؟».
ورفع حاجبيه وكأنه استغرب السؤال. ونظر اليها بثبات وقال:
«احب ان اذكرك يا آنسة انني رب عملك، حتى ولو اختارت والدتي ان تعتبرك صديقة لابن اختي، وما دام عملك جيداً فلا يهم اذا كنت تعجبينني ام لا. وفي اللحظة التي لا يقنعني عملك فسأعفيك منه ولا فرق عندي صديقة من تكونين».
ونظر اليها بتفحص من رأسها الى قدمها وقال:
«عندما تكونين في هيئة افضل يا آنسة سأراك من اجل طعام الافطار فانت ستتناولين وجبات الطعام معنا».

واومأ لها برأسه باختصار، ووقفت هي محدقة به حيث استدار على كعبه وخطا خطوات واسعة باتجاه الدرج. وضغطت على قبضتيها بشدة واعترتها مختلف المشاعر، وكان الغضب اوضحها. الحمد لله ان جاك قادم خلال ايام قليلة ولن تشعر بالغربة التي تشعر بها الآن.

السيدة جيرارد اوضحت لها بصراحة انها مرحبة بوجودها ولكن، حتى دعمها لها لن يخفف من الطريقة التي يعاملها بها ابنها الآن. وفكرت في العودة الى غرفتها وحزم حقائبها لتقول لهوغو جيرارد انه حتى لذة العمل على مجموعته النادرة لن تستحق البقاء عند شخص مثله يعاملها بهذه الطريقة.

٤ - سر الرسالة المسجلة

مضت خمسة أيام على بدء لورا العمل، وبالرغم من انها تعمل بجد فإنها لم تحرز تقدماً كثيراً بالنسبة الى آلاف الكتب الموجودة. ولكنها كانت مسرورة بما انجزته.

وبالرغم من عدم قدرتها على ترجمة معظم عناوين الكتب، فقد كانت تصنفها حسب ترتيب الاحرف الابجدية، وهذا لا يتطلب المعرفة الضليعة باللغة الفرنسية.

كان هناك بعض الكتب القديمة جداً بمجلدات جلدية، واطراف الورق مزخرفة بالذهب. بعض الكتب كانت لا تقدر بثمن، وبدأت تدرك ان المجموعة قيمة اكثر مما كانت تتخيل. ولطالما شعرت بالارتباك عندما فكرت بما قد يحصل فيما لو الحقت ضرراً بأحد الكتب عن غير قصد. كانت سعيدة بعملها، ومما زاد في ارتياحها عدم رؤيتها لرئيسها الا قليلاً. فلو كان يتردد دائماً ليتأكد مما تفعل لكانت ضاقت به ولصعب عليها تقبل ذلك.

فلم تره الا في اوقات الوجبات، عدا اليوم الأول عندما اتى ليشرح لها مهمتها وما هو مطلوب منها بالضبط.

كانت تتناول الوجبات مع هوغو جيرارد والسيدة جيرارد، وحمدت ربها لأن السيدة جيرارد سهلة المحادثة. وخاصة عندما تتطرقان الى موضوع جاك، فلم تجدا صعوبة في ايجاد موضوع

للحديث بالرغم من ان هوغو جيرارد - حسب توقعات لورا - بدأ يشعر بالضيق بعد فترة لتكرار الحديث عن ابن اخته الغائب. ولاحظت عليه العبوس ومن ثم الانسحاب ليبقى صامتاً.

وفي صباح اليوم السادس، وبينما كانت تتناول بعض الكتب قبل تسجيلها، دخلت السيدة جيرارد الى المكتبة برفقة رجل ذكرها كثيراً بجاك، وقدرت انه ابن السيدة جيرارد الثاني حتى قبل ان يتم تقديمه اليها.

كان متوسط الطول ذا لون اسمر وشعر بني ووجه عريض ودود، وابتسم لها بمجرد دخوله ولاحظت الدفء نفسه في عينيه الذي طالما لاحظته في عيني جاك.

وبادرتها السيدة جيرارد بالحديث وقد تقدمت الرجل قائلة:

«لورا. هل يمكننا ازعاجك للحظة يا عزيزتي؟».

اصرت السيدة جيرارد على استعمال اسم لورا الأول منذ البداية في حين ان هوغو كان يخاطبها بكلفة اكثر اذ يناديها بالآنسة كولتون او آنسة.

وكانت تشعر بأنه يحاول ابقاءها في مركزها.

وضعت الكتب التي كانت تحملها على المنضدة خلفها واستدارت مبتسمة لهما وقالت:

«لن تزعجيني ابداً يا سيدتي فأنا انجز مهمتي بشكل جيد».

وغمزت السيدة جيرارد لورا وقالت:

«جيد. ان هوغو سيسر منك أليس كذلك؟».

ادارت لورا وجهها وقالت:

«لا اظن ذلك».

وضحكت السيدة جيرارد وقالت:

«اود ان تقابلي ابني الآخر برونو».

ووضعت يدها على ذراع ابنها وابتسمت للورا وقالت:

«عزيزي برونو، هذه الآنسة لورا كولتون وهي صديقة حميمة لجاك».

واعطت بلهجتها معاني كثيرة لكلماتها، واحمر وجه لورا عندما صافحت برونو جيرارد وتمنت نكران وجود أية علاقة خاصة حاولت ايحاءها السيدة جيرارد، ولكنه كان يصعب فعل ذلك بدون تكذيبها.

وصافحها برونو قائلاً:

«آنسة كولتون».

وذكرتها اصابعه القوية بجاك وكذلك بهوغو وربما كان هذا وجه الشبه الوحيد بينهما.

لم يكن يتكلم الانكليزية بشكل جيد وهذا ما حيرها لأن هوغو ذكر ان اخاه الأكبر ذهب ايضاً الى اكسفورد.

وأجابته محيية بالفرنسية قائلة:

«صباح الخير يا سيد».

وبدت عليه علامات الرضى وسألها:

«وهل تتكلمين الفرنسية يا آنسة؟».

وهزت رأسها بالنفي وقالت:

«لا، للأسف لا اتكلمها يا سيد جيرارد».

واجابها بقوله:

«ولكن لهجتك جيدة يا آنسة».

ومن ثم هز بكتفيه وتابع:

«اذن، عليك ان تعاني من لهجتي الانكليزية، وخاصة انني لا اتكلمها بالجودة نفسها كجاك او اخي هوغو، لأني لم ازر بلدكم الجميل في حياتي».

ونظرت اليه لورا باستغراب تتساءل فيما لو كانت قد فهمت خطأ وقالت:
«أنا آسفة ظننت... لا بد انني لم افهم... ولكن اظن ان السيد هوغو جيرارد اخبرني انك انت ايضاً ذهبت الى اكسفورد مثله ومثل جاك. اعتقد انه قال لي اخي...».
وخيم الصمت على الجميع للحظات، ومن ثم بدت ابتسامة حزينة على وجه السيدة جيرارد وقالت برقة:
«ان هوغو هو الوحيد الذي يتكلم عن فيليب ولكن...».
ومن ثم هزت كتفيها ووضع برونو يده على ذراعها وهز رأسه وقال برقة:
«ماما».
وشعرت لورا بلهجة التحذير في صوته. ونظرت اليه السيدة جيرارد وكأنها تدافع عن نفسها ثم استدارت وتطلعت الى لورا. واستغربت لورا الموقف لانها لم تجد مبرراً، وقالت السيدة جيرارد بهدوء:
«كان هناك ثلاثة اخوة».
وقطب برونو غير موافق على الكلام. وتابعت السيدة قائلة:
«فيليب كان الأكبر، ولكن...».
وقاطعها برونو قائلاً:
«ولكنه توفي شاباً يا آنسة، انه لأمر محزن من المؤكد انك تفهمين ما اقصد».
وتلمس ذراع والدته وقال برقة:
«ماما، انا متأكد ان الآنسة كولتون، لا تود سماع مآسينا».
وبدا وكأن السيدة جيرارد ستتجاهل نصيحته وتتابع ولكن بعد لحظة، اومأت برأسها ببطء وتمتمت قائلة:

«أنت على حق».
وشعرت لورا بتنهيدة الارتياح التي صدرت عن برونو، وقال:
«هل اعجبتك مجموعة كتب هوغو يا آنسة؟».
واجابت لورا:
«انها رائعة».
وضحكت ومن ثم تابعت قائلة:
«في الواقع اشعر بالذنب لأني اتقاضى راتباً على عمل احب القيام به».
«لعلك تودين العمل بدون راتب يا آنسة».
ولم يكن من سبب لتستدير لورا لتعرف من المتكلم، وتقدم هوغو بخطواته الواسعة باتجاههم، وقد ارتدى بنطالاً قطنياً قديماً وقميصاً كحلياً مفتوحاً حتى الخصر مما جعله يبدو جذاباً. واستدارت السيدة لدى سماعها صوته وابتسمت مما مسح كل علامات الحزن عن وجهها وقالت:
«لا تغضب لأن لورا متوقفة عن العمل، انها غلطتي انا يا عزيزي، انها ليست غلطة لورا فيجب ان تلومني».
وأجابها هوغو متهماً:
«انك تتكلمين وكأنني جلاد لا اسمح للآنسة ان ترفع رأسها. انت تظلميني يا اماه».
واجابته قائلة:
«اوه لا، يا عزيزي ولكني احاول ان اتأكد من انك لا تشغلها اكثر من اللازم، فقد وعدتها ان ابقي عيني عليك».
وبدأ يحدق بها باستغراب وكأنه غير متأكد، وبرم فمه وقال:
«وهل اشتكت الآنسة من معاملتي لها؟».
وسارعت لورا بالانكار قائلة:

«لا، يا سيد جيرارد. ليس هناك من سبب للشكوى. وفي الحقيقة كنت اقول اني اشعر بالذنب لأني اتقاضى راتباً على عمل احبه».

وذكّرها وهو يحدق فيها وقد جلس على طرف المكتب واشعل سيكارة قائلاً:

«وانا اقترحت فيما لو تريدين العمل بدون راتب».

ولاحظت لورا انه لم يقدم سيكارة لاخيه وتساءلت فيما اذا كان السبب لأن الأخير لا يدخن ام انه سبب آخر. ولاحظت انه لم يتكلم مع برونو منذ ان دخل الغرفة وقالت مجيبة:

«يسرني ان أعمل بلا مقابل لأحظى بسعادة العمل على مجموعة كتبك الرائعة لو لم يكن ضرورياً ان اكسب عيشي».

وسألها برقة قائلاً:

«انت حقاً مسرورة بالعمل هنا؟».

وأحست لورا وكأنهما وحيدان في الغرفة بسبب لهجته الرقيقة. وقالت بهدوء:

«نعم انا مسرورة جداً بالعمل».

وأحست لورا بأن السيدة جيرارد تراقبهما في حين ان برونو بدأ يتململ في وقفته بعصبية ليلفت انتباههما.

وللحظة بقي هوغو يحدق فيها ومن ثم عاد لتحريك قدميه وقال:

«أتساءل يا آنسة كم من الوقت ستستمرين. فحالما يعود جاك أشك فيما لو كنت ستجدين الكتب شيقة».

وشعرت لورا برغبة لانكار ما كان يقول بالرغم من صحة كلامه، ولكن السيدة جيرارد تذكرت عودة حفيدها الحبيب وعقدت بيديها وقالت:

«بالطبع لن تكون الكتب شيقة عندما يعود جاك. وكيف تتصور

عكس ذلك يا عزيزي هوغو؟».

واجابها بسخرية قائلاً:

«أنا آسف فهذه حماقة مني أن افترض واطلب من شخص يتقاضى مني راتباً متابعة عمله لدى وصول جاك».

وحتى السيدة جيرارد تطلعت اليه بدهشة.

«ولكن هوغو...».

وهزت السيدة جيرارد راسها وتابعت:

«بالتأكيد يا عزيزي انت لا تريد تفريق شابين عن بعضهما. لا يمكن لك ان تكون قاسياً الى هذا الحد».

وأجاب والدته وهو يحدق بلورا قائلاً:

«ماما، سأكون قاسياً بالقدر الذي يحق لي ان اكون قاسياً فيه».

وهزت السيدة جيرارد رأسها موبخة ووضعت يدها على ذراع لورا بتعاطف وقالت:

«سيتركك لتتابعي عملك يا عزيزتي، فإن لم تفعل فإن هذا القاسي سيجعلك تدفعين ثمن الكلام معنا».

ولم يعترض هوغو على كلامها وانما انحنى وقبّل والدته وودع اخاه ببضع كلمات مختصرة ومن ثم عاد ليجلس على طرف المكتب عندما اغلق الباب خلفهما، وعادت لورا لعملها.

جلس هوغو يهز بساقه وقد ادار ظهره لها، يدخن سيكارته، في حين تناولت لورا بعض الكتب من احد الرفوف ووضعتها على المكتب خلفه. وكانت يداها ترتجفان، والله وحده يعلم السبب، إلّا اذا كان وجوده في الغرفة هو الذي يسبب لها العصبية والارتباك. وخاصة انها احست انه يراقبها. وسألها فجأة:

«هل تخافين ان ابعدك عن جاك يا آنسة؟».

وجاءها سؤاله مفاجئاً لها، وحاولت ان تنظر اليه لترى تعبيرات

وجهه، ولكن دخان سيكارته حجب ذلك، وشعرت بعصبيته برغم تظاهره بالهدوء واخيراً اعترفت قائلة:

«لا أعلم، ربما لا ارى من سبب مبرر يدفعك لفعل ذلك».

«بالضبط».

ونظرت اليه للحظة وهزت رأسها وقالت:

«اظن ان السيدة جيرارد فكرت بأنك تمانع في خروجي مع جاك».

وهز كتفيه وأنكر ذلك قائلاً:

«لا ابداً. وكل ما اردته هو ان اذكرك واذكر والدتي انني وظّفتك لتعملي عندي لا لتستمتعي في الأرياف والغابات مع جاك عندما يكون هنا».

واصرت مؤكدة:

«بالطبع أنا اعرف ذلك».

ولم يعجبها تفكيره في انها ستفقد رغبتها في العمل لمجرد عودة جاك الى البيت، وستترك كل شيء لتخرج معه.

حقاً انه يلهيها عن عملها ولكنها ستكون حازمة ولن يتمكن من اخذها بعيداً عن عملها بالقوة.

وسألها:

«أنت لا تتوقعين ان اعفيك من العمل لتذهبي مع جاك؟».

وهزت رأسها وقالت:

«لا، بالطبع لا يا سيدي».

وبدت ابتسامة على فمه العريض وقال:

«يسعدني سماع ذلك».

ومن ثم ضاقت عيناه وتابع قائلاً:

«لأن الاغراء سيكون موجوداً يا آنسة، أنا اعرف جاك».

وأصرت قائلة:

«وأنا اعرف كيف اقول لا».

وعادت الابتسامة الى فمه وقال بهدوء:

«ولكن ليس دائماً على ما يبدو، فقد اضطر السيد ستودارد الى طردك لعدم مقدرتك على قول لا، لجاك».

واحمر وجهها لتعليقه وضغطت على قبضتي يديها وتذكرت تعليقاته على الموضوع عندما ذكرته له لأول مرة. وها هو تحول الآن ليتصرف تماماً كستودارد ام انه قادر على غير ذلك؟

واجابته:

«ولكنك ذكرت لي ان جاك لم يفعل الا ما تتوقع منه».

وحدقت في وجهه عبر الدخان وتابعت برقة:

«وقد استغربت تصرف السيد ستودارد، ويبدو لي من العجيب ان تحاول التصرف بالطريقة نفسها. ام انك ستفعل؟».

لم تدري ما الذي دفعها لتحدق به وتتحداه بهذه الطريقة. وشعرت بخفقات قلبها القوية وحاولت ان تثبت نظراتها ولكنه لم يجبها للحظات، وكان يهز بساقيه بشكل رتيب مما دفعها لتراقب حركة ساقيه عن ان تحدق فيه. واخيراً قال لها بهدوء:

«اذا كنت تظنين بأني سأسمح لجاك بأن يدخل الى هنا متى اراد ليضمك متى شاء وخطر بباله، فقد اخطأت في تقديرك يا آنسة».

وادركت لورا مدى قسوته وشعرت بالارتباك، حتى امه قد اخبرتها بذلك وها هو يثبت لها. لم تتوقعه ان يمنحها وقتاً بلا حساب لتخرج مع جاك، ولكن في سرها احست بأنه سيكون متسامحاً بعض الشيء ولكن يبدو الآن انها اخطأت.

وقالت:

«لا اتوقع منك ان تتحمل تردده الى هنا طوال الوقت، فهذا غير

معقول، ولكن بعد الذي ذكرته عن المسكين هنري ستودارد. . .».

وهزت كتفيها ونظرت اليه وشعرت بخفقات قلبها الوحشية وتابعت:

«ولكن اظن ان الأمر مختلف عندما يتعلق بك شخصياً. أليس كذلك يا سيدي؟».

وتبع ذلك صمت ثقيل وهو ينظر ببرود وقد زم فمه، مما جعلها ترتجف من غير ارادتها عندما نظر اليها وقال:

«انت ستقررين بنفسك يا آنسة، انا حذرتك اني لن ادفع لك راتباً لتعملي عندي في حين انك تعتبرين ذلك اجازة لك مع جاك. وعندما يعود جاك اما ان تتابعي العمل كما فعلت خلال الأيام الخمسة الماضية او انني سأضطر لتوظيف غيرك، والخيار لك».

«لا، ارجوك لا».

واستغربت من نفسها ردة الفعل تلك، ولكنها شعرت انها ستخسر الكثير لو تركت عملها الآن وهي سعيدة بما تفعل، انه العمل الذي حلمت به لوقت طويل ويهمها الا تخسر الآن بهذه السرعة. وقالت بصوت متحشرج وهي تنظر اليه برجاء:

«انا لا اريد ترك العمل، بل اود البقاء».

ولم يجبها لبضع لحظات وشعرت بأن الانتظار لا يطاق. ووقفت وهي تحمل مجلداً لقصة تولستوي. وحاولت ان توقف يديها عن الرجفان وما زالت ترجوه بنظراتها بدون شعور منها، وقال برقة:

«اذن ستبقين».

وتنفست الصعداء، ولم تصدق نفسها انها مهتمة الى هذا الحد، ولا بد أنه ادرك ذلك، وقالت:

«انت لا تمانع فيما اذا رأيت جاك عندما. . .».

وهز كتفيه بلا مبالاة وقاطعها قائلاً:

«عندما تنتهين من عملك اليومي بامكانك يا آنسة ان تقضي الليل بطوله مع جاك، فهذا لا يهمني».

واعترضت لورا على كلامه واحمر وجهها ونظرت اليه بكبرياء وهي ما تزال تضم الكتاب الى صدرها وقالت:

«ولكن يهمني. فكرتك عني خاطئة يا سيد جيرارد».

ونظر اليها بثبات وقال بهدوء:

«تماماً كما ان فكرتك عني خاطئة يا آنسة».

ونهض واطفأ السيكارة بأصابعه القوية بقسوة ونظر اليها عبر الدخان ومن ثم وضع يده في جيب بنطاله ولاحظت الابتسامة على وجهه وقال برقة:

«دعينا نتفق اننا اسأنا فهم بعضنا البعض يا صغيرتي».

وخطا خطوات واسعة عبر الغرفة قبل ان تسنح لها الفرصة ان تجد جواباً مناسباً له.

وتساءلت عن سبب قدومه اصلاً، هل اراد التأكد من ان والدته وشقيقه لن يضيعا الكثير من وقتها ام لسبب اخر لم تنتبه له.

وعندما وصل الى الباب، استدار اليها وقال:

«لا تصعدي الى الدرجات العلوية من السلم»،

واشار الى السلم خلفها، وتابع قائلاً:

«عندما تحتاجين الى الكتب من الرفوف العلوية سأقول لروبرت او احد الخدم ان يساعدك».

وحاولت الاحتجاج بقولها:

«ولكني استطيع. . .».

وقاطعها قائلاً ببرود:

«يجب ان تفعلي ما اقوله لك، عندما تصلين الى الدرجات العلوية قولي لي وانا سأجد من يساعدك».

وكان بامكانه الاكتفاء بذلك فيخرج، ولكن عندما لم ترد، استدار مرة ثانية وقال بحدة:

«هل تفهمين يا آنسة؟».

واعترتها مشاعر غريبة لا مبرر لها ونظرت الى الكتاب في يدها، وشعرت بيديها ترتجفان واحست بخفقات قلبها الثابتة القوية وحاولت السيطرة على حدتها وقالت:

«نعم يا سيدي».

ولاحظت علامات الاستغراب في عينيه وخرج من الغرفة. وبعد ان غادر بلحظات ادركت انها نسيت ان تذكر له شيئاً وجدته في الصباح، فبينما كانت تتناول بعض المجلدات الثمينة والقديمة جداً من الرف السفلي وجدت شريطاً تسجيلياً مخبأ خلفها.

ولم يكن عندها أي فكرة عما كان يحتوي ولكن يبدو انه مكث هناك خلف الكتب فترة طويلة. ومما زاد في الغموض حوله كونه مخبأ وراء تلك المجلدات، حتى انها تساءلت فيما لو كان هوغو جيرارد نفسه قام باخفائه، وستخبره عنه بمجرد ان تراه ثانية.

ومر اليوم التالي بدون ان يخطر لها شريط التسجيل على الاطلاق وتذكرته صدفة بعد يومين من زيارة السيدة جيرارد للمكتبة عندما فتحت احد الادراج ووجدته صدفة. كانت العلبة المعدنية التي وضع فيها الشريط قديمة ومغبرة وشعرت بحب الاستطلاع مرة ثانية عندما امسكتها بيدها. كان يجب ان تخبر هوغو عنها قبل ذلك ولكنها نسيت ووجدت العذر المناسب لنفسها بتبريرها بأنه ليس مهماً.

لا بد انه تسجيل موسيقي، فهناك ملصق على العلبة بعنوان «انشودة الخريف» ولكن لماذا وضعت هناك. ووقفت والعلبة بين يديها وخطر لها ان هوغو جيرارد يحب الموسيقى سراً ولكن هذا لا يفسر كون الشريط مخبأ بهذه الطريقة، وفي اية حال لا يمكن ان يهتم

هوغو بمن يعرف عنه انه يحب من الموسيقى او لا يحب.

وكانت هناك آلة تسجيل موسيقية حديثة على المنضدة المقابلة قرب النافذة، تأملتها للحظات وفي نيتها سماع شريط التسجيل. واخيراً قررت ان تسمعها فاذا كانت مقطوعة موسيقية فلن تسبب لأحد اي ضرر، ولعلها تميز القطعة، ومن عنوانها قدرت ان تكون الموسيقى كلاسيكية وهي تحب الموسيقى الكلاسيكية، لكنها لم تجد على الملصق اسم المؤلف.

وكان من الصعب عليها في البداية ان تكتشف كيف تعمل آلة التسجيل، لكنها نجحت اخيراً في تشغيلها، في البداية لم تسمع الا صوت ضجة وفجأة ظهر صوت رجولي يتكلم بوضوح وكأنه موجود معها في الغرفة، وكان صوتاً شاباً وبدأ حديثه باللغة الفرنسية قائلاً:

أخي العزيز هوغو:

كان الصوت عميقاً وحزيناً مما سبب تقلصاً في معدتها وبدأ قلبها يخفق بسرعة، وبما انه تكلم بالفرنسية، فلم تميز الا المقدمة والنهاية عندما قال:

«هنا فيليب».

واسرعت لورا باغلاق الآلة، ووضعت يدها على فمها واحتبست انفاسها. فيليب جيرارد هو الأخ الذي لم يرغب برونو بذكره. والابن الذي تكلمت عنه السيدة جيرارد بحزن. الأبن الأكبر والذي ذكر برونو بأنه مات شاباً، ولكن بدون ان يذكر كيف. وصوته الحزين الواضح جعل لورا تقشعر لسماعه.

ووقفت للحظات تنقل الشريط بين يديها وقلبها يخفق بشدة، وفكرت - انه من الحماقة ان تكون خائفة من صوت شاب حزين متوف منذ سنوات طويلة بحادث مؤلم. ولكن بعض خوفها كان بسبب ترقبها لقدوم احدهم وقد يراها وهي تسمع الشريط الذي لا

يحق لها سماعه.

ومع ذلك فبعد دقيقة او اثنتين ادارت الآلة من جديد. بالطبع لم يكن لها الحق بأن تسمع اكثر ولم تفهم الا الاسماء، ولكن هناك سر في الصوت يجعله لا يقاوم بالرغم من الحزن المحيط به. كانت بقية الحديث مقتضبة عبارة عن بضع كلمات واضحة قيلت بحرص وبعدها ساد الصمت. وبينما همت باغلاق الآلة بدأت الموسيقى فجأة ووضعت يديها على وجهها لدى سماع الموسيقى بلا شعور، وبدون سبب واضح شعرت بالتشوش، ولكنها لم تقاوم سماعها لذلك الصوت الحزين. فقد كانت الموسيقى متشابهة جداً مع الصوت.

كانت مقطوعة البيانو رقيقة ومؤثرة وشعرت بتقطع في انفاسها.

وبرغم عدم جودة العزف وجدت انها مؤثرة جداً، كانت بعض المقاطع ارق من غيرها ولكن بشكل عام كانت حزينة ومشابهة لصوت الرجل.

وكانت مستغرقة بسماعها بحيث لم تميز صوت الباب عندما فتح خلفها ولم تدرك وجود احد في الغرفة معها الا عندما انتهت الموسيقى. وتكلم هوغو جيرارد قائلاً:

«من أين اتيت بهذا يا لورا؟».

واستدارت بسرعة واطلقت شهقة تعجب وعضت على شفتها. فظهوره المفاجىء بعد سماع تلك الموسيقى سبب لها الدوار، وقالت اخيراً:

«أنا... انا آسفة».

واقتربت لتغلق الآلة، وتناولت العلبة المعدنية وسألها مرة ثانية:

«أين وجدت هذه؟».

وحاولت ايجاد الكلمات بصعوبة واجابته بصوت متحشرج:

«كانت مخبأة خلف كتاب فولتير في الرف الأول، وجدتها منذ

يومين».

وبدت عليه القسوة وتجمدت ملامحه ونظر اليها ببرود وكأنه ظن بها الظنون وقال:

«ألم يخطر لك ان تخبريني عنه؟».

ارادت لورا ان تشرح له وأن تقول له انه لم يخطر لها ما قد يحتوي الشريط عندما وجدته ولم تدري مدى اهميته بالنسبة اليه، ولكن على ما يبدو انه هام جداً، اخذة بعين الاعتبار ردة فعله واخيراً قالت بصوت متقطع:

«أنا... انا اردت ان اقول لك. كنت سأخبرك في الصباح نفسه ولكن السيدة جيرارد وشقيقك قدما هنا و...».

«ولم تخبريها شيئاً عن الشريط؟».

وهزت رأسها بالنفي وقالت:

«لم يكن هناك من وقت لأخبر احداً اي شيء حتى لو خطر لي ذلك. السيدة جيرارد قدمتني لاخيك ومن ثم جئت انت».

«آه».

ونظرت اليه وقالت:

«ارتكبت خطأ بأني ظننت ان السيد شقيقك ذهب الى اكسفورد، واصلحا معلوماتي هو والسيدة».

ونظر اليها ببرود وقال:

«هكذا اذن، انت تتعلمين عنا يا آنسة اليس كذلك؟».

وادركت انه عندما جاء الى الغرفة وكانت تستمع الى الشريط ناداها باسمها المجرد لورا، وربما ان الصدمة جعلته يتخلى عن الرسميات بشكل مؤقت وها هو قد عاد الآن الى آنسة. ولم تقل شيئاً فليس هناك من شيء تقوله، وبعد لحظة انحنى ليتناول الشريط من الآلة، وشعرت بالارتباك وبتقطع في انفاسها عندما لمست يده يدها.

وامسك الشريط يتأمله. ولاحظت تعبيراً على وجهه لم تره من قبل: الدفء والنظرة الرقيقة واللطف، ولم تفهم ماذا كان يحدث، وسألها فجأة:

«هل تعرفين ما هي؟».

وهزت رأسها بالنفي وشعرت بالارتباك.

وقال برقة:

«انها «انشودة الخريف»، انها موسيقى اخي».

وتوقفت للحظات تحاول فهم ما يعني، ولما ادركت ما عنى نظرت اليه بتساؤل وقالت:

«اتعني انه كتبها.»

وهز رأسه وتابعت قائلة:

«ولكنها جميلة».

وردد برقة:

«انها جميلة. وقد شعرت بذلك عندما سمعتها لأول مرة منذ سنوات عديدة».

وقلّب الشريط في يده وكأنه غير مصدق انه موجود وقال:

«لم اعرف ابداً انه سجلها».

وقالت لورا:

انه سجلها لك على ما اظن. وحاولت ان تفسر له رداً على نظراته المتسائلة قائلة:

«هناك رسالة في البداية قبل الموسيقى».

ونظر اليها والقسوة في عينيه وقال:

«وانت استمعت اليها ايضاً؟».

ولما لم تكن لتتحمل نظرات القسوة والبرود تلك فأسرعت بهز رأسها وقالت:

«أنا.. انا لم افهمها، عدا الاسماء. اسمك وبعد ذلك فيليب».

وبقي يحدق بها ببرود وقال:

«وأنت تعرفين عن فيليب ايضاً».

واومأت برأسها واجابته بصوت متردد يعكس لهجة الأسف وقالت:

«اعرف انه كان شقيقك الأكبر يا سيد وانه مات شاباً، هذا كل شيء».

«وهذا كاف يا آنسة».

ونظرت الى وجهه الأسمر ولاحظت المرارة والأسف على فمه والبرود في عينيه وقالت:

«أنا... أنا لم ارغب التجسس عندما استمعت الى الشريط يا سيد جيرارد».

وحاولت ان تسيطر على صوتها كي لا يرتجف وتابعت قائلة:

«في الحقيقة لا اعرف لماذا استمعت اليه».

«حب الاستطلاع».

وكان يحدق بها وشعرت بتسارع خفقات قلبها. ولاحظت بأن القسوة بدأت تتلاشى من عينيه ولكنه ما زال متوتراً فلم يبد عليه الارتياح حتى عندما ابتسم وقال:

«هذه صفة سيئة في الأنثى يا آنسة. وأنا لا يمكنني لومك على شيء لا يمكنك السيطرة عليه».

وكان من الصعب الاجابة على كلامه هذا، ولذلك لم تقل أي شيء واكتفت بالوقوف بجانبه بصمت وشعرت بطول الوقت وخاصة ان قلبها بدأ يطرق كالساعة. واحست بأن تحمل ذلك الصمت فوق طاقتها فاتخذت لنفسها عذراً وقالت:

«من الأفضل ان اعود الى عملي».

ولكنه استوقفها بأن امسك بذراعها وقال بهدوء:

«ارجوك اتركيني بعض الوقت يا آنسة، فأود الاستماع الى الرسالة».

«نعم، بالطبع».

وفهمت لماذا يريد ان يستمع الى الرسالة على انفراد. فهوغو جيرارد لم يعتد ان يفقد السيطرة على مشاعره امام الغرباء. ولا بد ان لصوت اخيه المتوفي تأثيراً كبيراً، حتى على ارادته الحديدية.

فقد لاحظت شيئاً من ذلك عندما عرف الموسيقى. ولا بد ان هوغو جيرارد كان مقرباً من اخيه حتى انه ترك الشريط له لا لأمه.

وفتحت الباب وهمت بالخروج عندما ناداها قائلاً:

«آنسة كولتون».

واستدارت لورا. وتابع قائلاً:

«ليس هناك من ضرورة لاخبار اي انسان عن هذا الشريط».

وهزت رأسها بدون شعور وقالت:

«لا سيد جيرارد، بالطبع لا».

«شكراً».

وعندما استدارت مرة ثانية لتغلق الباب خلفها كان يعيد لف الشريط على الآلة.

٥ - رقة في العيون

وصل جاك في الصباح الباكر من اليوم التالي. وعندما سمعت لورا صوت السيارة نسيت كل شيء حولها، وهمت بالنهوض للترحيب به. وسمعت صوت السيدة جيرارد مسرعة في الدهليز تناديه بشوق، وبعد لحظات سمعت صدى صوتها في القاعة، وضحكات جاك المتعالية مما دعا لورا للابتسام لنفسها، فلا بد ان وجود جاك سيضفي حياة جديدة على القلعة. ولما سمعت صوت هوغو ينضم اليهما، أدركت انها كانت عاقلة بأنها لم تتسرع بالخروج للترحيب بجاك. ان السيدة لا تمانع، وجاك يرحب بوجودها ولكن هوغو سيكون ممتعضاً لاشتراكها بمناسبة عائلية.

ولم تستطع تركيز انتباهها على العمل الذي تقوم به، وتذكرت توقعات هوغو بأن جاك سيستحوذ على اهتمامها بدلا من العمل، وها هي توقعاته تصبح واقعاً.

وتنهدت، وفجأة فتح الباب ورفعت رأسها ورأت جاك وقد مدّ يديه ليتلقاها.

ودفع الباب خلفه باهمال وأسرع اليها وأخذها بين يديه وعانقها بحرارة، ولم تسنح لها الفرصة لتعترض حتى ولو ارادت وقال:

«عزيزتي لورا، أوه، لورا».

كان هناك ما أشعرها بالارتياح لوجوده.

ونظر اليها بتشوق وقال:
«اوه يا عزيزتي، كم أنا سعيد برؤيتك. كيف كانوا يعاملونك يا حبيبتي؟».
وابتسمت لورا واجابت:
«بالطبع بشكل جيد جداً، هل تتوقع غير ذلك؟».
وهمس في اذنها قائلا:
«انا في غاية الشوق لك يا جميلتي. كنت افكر بك هنا مع هوغو واتساءل...».
وهزّ بكتفيه وشعرت هي باحمرار وجنتيها لما عناه بكلماته.
وقالت بصوت مرتجف:
«جاك. ليس هناك من سبب لتفكر بهذه الطريقة وخاصة انه لم يمض على وجودي هنا اكثر من اسبوع».
وابتسم وكأنه كان على يقين ان احتجاجها كان صحيحاً وقال:
«انني اعرف هوغو. انه ينتصر في اقل من اسبوع يا عزيزتي».
واصرّت مجيبة:
«أنا اعمل فقط عند السيد جيرارد، وليس لك الحق باعطاء ملاحظات كهذه في لحظة وصولك».
ورفع ذقنها بيده وقال:
«أوه، لورا، يا حبيبتي، يجب ألا تغضبي هكذا، فأنا لا اظن بك... ولكن هوغو...».
ولوى وجهه وتابع قائلا:
«هوغو هو هوغو وأنت امرأة جميلة يا عزيزتي».
وحاولت أن تجد الاقناع المناسب لتثبت انه على خطأ وقالت:
«لا تنس اني انكليزية».
وشعرت بضربات قلبها القوية وتابعت:

«وخالك ليس معجباً بالنساء الانكليزيات، وكوني انكليزية يجعل مني انسانة متوازنة ويصعب اغرائي من قبل رجل في سمعته».
«أوه، عزيزتي لورا، وهل هذا يعني انك ايضا غير متأثرة بي؟».
وضحكت لورا. ولم تستطع السيطرة على ضحكتها وصدرت عنها ضحكة عالية وشعرت بثقل ازيح عنها.
ولم تدرك حتى الآن بأنها لم تضحك ابداً خلال الاسبوع الذي مضى عليها هنا، وانتابها شعور غريب وقالت:
«تبدو مختلفاً يا جاك».
وابتسمت وتابعت:
«يا له من شيء رائع ان تكون قريباً مني مرة ثانية».
وأجابها بقوله:
«أنت على حق يا عزيزتي، أنت لا تعلمين كم أنا مشتاق لك».
وطبع قبلة على جبينها وقال:
«وهل افتقدتني يا لورا؟ أم ان هوغو جعلك تعملين لدرجة انك لم تلاحظي عدم وجودي».
وأكدت له ضاحكة:
«بالطبع لاحظت. لقد كان الجو هادئاً جداً وانجزت الكثير من العمل».
«لن تبقي تحت رحمة هوغو بعد الآن. فأنا سأغيّر حياتك».
وهزّت لورا رأسها حيث ادركت فجأة ان هوغو والسيدة جيرارد ما زالا على مسافة تسمح لهما بسماع الحديث، فهي ما زالت تسمع تمتمة اصواتهما في القاعة حيث يراقب هوغو حقائب جاك. وقالت:
«لا استطيع ترك كل شيء واخرج معك يا جاك. أنا اعمل للسيد جيرارد ولدي عمل لأنجزه. ولن اقبل أن تأتي انت لتغير الموقف يا جاك».

وجاء صوت هوغو مصمماً وهو يخطو خطوات واسعة في الغرفة وقد تبعته السيدة جيرارد والتي لم تبد عليها السعادة.

ونظر جاك الى جدته باستعطاف لتدعمه وقال:

«ما الموقف؟».

وذكّره هوغو بقوله:

«الآنسة كولتون تعمل عندي، وبامكانك اصطحابها في أي وقت لا تعمل فيه، وليس هناك من نقاش بذلك».

كان كلامه تقريراً اكثر منه اقتراحاً. وشعرت لورا بأن كلامه مسبب للقلق، فقد بدا من لهجته وكأنه يملكها، وسيترك غيره يأخذها عندما تنتهي حاجته منها، وبدلا من ان تنزعج من ذلك احست بالارتياح للفكرة. وبدت على جاك الرغبة في النقاش ولكنه هزّ بكتفيه وتمتم قائلا:

«سنرى ما سيحدث».

ووضعت لورا يدها على ذراع جاك وقالت بهدوء:

«من الأفضل ان تذهب الآن وترتاح. سأراك فيما بعد».

وأمضى جاك معظم يومه مع جدته، بينما كانت لورا تعمل. وأبدى اهتمامه الشديد بها اثناء طعام الغداء والعشاء.

وبالرغم من كلامها وتعليق هوغو فقد بدأت لورا تشك بنوايا جاك للزواج منها.

كان حب السيدة جيرارد لحفيدها واضحاً، وهو بالتأكيد لم يكن الطفل الذي تكلّم عنه هوغو ولكن جاك مع ذلك كان اقل نضجاً منه في كثير من الأمور.

كان حذقاً في معاملة النساء ولكن ذلك لم ينتج عن الخبرة والتجربة وانما نتيجة للتربية. وعندما جلست في اليوم التالي في المكتبة لتعمل فكّرت كم بدا لها اصغر مما تذكرته من اسبوعين فقط.

وادركت انها في الواقع تقارنه بهوغو، ولم تكن تلك مقارنة عادلة.

كان جاك خريجاً حديثاً من الجامعة، شاباً، والمستقبل امامه. في حين ان هوغو جيرارد كان كثير الاسفار، ناضجاً واقعياً ويعرف ماذا سيأتي غداً.

وتعجبت لادراكها انها اعتادت على نضوج خاله، حتى في هذه الفترة القصيرة التي قضتها معه. ولكن ما يزال هناك الكثير من الغموض حول هوغو جيرارد، بالاضافة الى بعض الاشياء التي اثارت غضبها، ولكنها لم تنس تلك النظرة الرقيقة التي شاهدتها في عينيه عندما امسك بشريط التسجيل.

وحاولت ابعاد هوغو جيرارد عن مخيلتها لتفكر بفرحتها بعودة جاك. وكأن تفكيرها به احضره اليها. فبينما كانت تحضر احدى لوائح الكتب دخل فجأة بابتسامته العريضة وقال:

«هذا جيد، فأنت وحدك».

ونهضت من خلف مقعدها متجهة الى الرفوف وقالت:

«وأنا مشغولة ايضا. ومن الأفضل ان تنصرف يا جاك، فخالك لا يحب اي انسان ان يدخل الى المكتبة بينما أنا أعمل».

«ها. ها».

وهزّ كتفيه بلا مبالاة واقترب منها وأمسك بيديها ومنعها من تناول اي كتاب وتمتم قائلا:

«انه يوم جميل. ويجب الا تبقي سجينة هذه الغرفة يا جميلتي».

ولم يلاحظ جاك دخول هوغو الى الغرفة. لأنه كان منهمكاً في اقناعها. ولم يبد هوغو أي اهتمام لوجود جاك، الشيء الذي استغربته لورا بعد ما ذكره من تعليقات عن جاك واصطحابه لها اثناء اوقات العمل.

واحمرّ وجهها لدى رؤيته وحاولت افلات يديها وقالت بقلق:

«أرجوك يا جاك».
ولم يدرك جاك أنهما ليسا بمفردهما. وقال بلهجة تأنيب:
«عزيزتي. ألست مسرورة لرؤيتي؟».
ونظرت في عينيه البنيتين المحدقتين بها بتأنيب وقالت:
«نعم، نعم بالطبع أنا مسرورة، بالطبع أنا سعيدة برؤيتك يا جاك وأنت تعرف ذلك».
وحاول شدّها اليه وقال:
«لماذا اذن تحاولين ابعادي عنك، ستأتين معي وسنذهب في نزهة في السيارة، أليس كذلك؟».
ونظرت لورا مرة ثانية بقلق الى هوغو وهزت رأسها وقالت:
«أنا، أنا لا استطيع يا جاك، وأنت تعرف ذلك، ليس اثناء النهار».
وقطب حاجبيه وبدا عليه الامتعاض وقال:
«هكذا اذن. أنت لا تريدين القدوم معي يا عزيزتي».
وباشرت باجابته بقولها:
«ولكن بالطبع انا أود...».
وقاطعها هوغو بهدوء قبل أن تشرح أي شيء قائلا:
«الآنسة كولتون تعمل لقاء راتب تتقاضاه مني. وهل اذكرك أنك أنت اقترحت اسمها لي لهذا العمل».
وفوجىء جاك بوجود خاله في الغرفة واستدار بسرعة وتظاهر بتمالك نفسه وقال:
«بالطبع أنا اعرف ذلك، ولكن...».
وبدا عليه الامتعاض وتابع:
«ولكن لماذا لا استطيع اصطحاب لورا بنزهة قصيرة؟».
واجابه هوغو بصوت هادىء قائلا:

«لأني بحاجة لها هنا».
وشعرت بالصراع بادياً في عيني جاك، الذي ضحك أخيراً وقال:
«أنت بحاجة اليها؟».
ونظرت لورا الى هوغو ولاحظت تلك الابتسامة التي شاهدتها قبلا وكأنه يتسلى بالتحدي وقال برقة:
«حسناً يا بني. أنا اريدها هنا، هل اقتنعت؟».
وكانت لهجته تعني الاهانة ولا بد انها جرحت كبرياء الشاب.
ولكنها عرفت من تجربتها انه ما من فائدة في معارضة هوغو جيرارد، وتوقعت ان تكون قسوته مقتصرة على الغرباء، ولم تتخيل على الاطلاق انه سيعامل ابن اخته بهذه الطريقة وخاصة بحضورها.
واحمرّ وجه جاك وبدا عليه الغضب والضيق عندما نظر الى خاله وقال:
«انه ليس كثيراً ان اطلب منك أن تترك خطيـ...».
ولكنّ حاجبي هوغو المرفوعين منعا جاك من ذكر كلمة خطيبتي، وكذلك لاحظت لورا السرور البادي في عيني هوغو عندما جلس على طرف المكتب وأخذ يحدق بابن اخته بثبات. كان يرتدي قميصاً أخضر مفتوحاً حتى الخصر تقريباً مما اظهر لونه البرونزي مع بنطال ضيق. وأخذ يهز بساقه بلا مبالاة مما أوحى بأنه يتحدى الشاب.
وقال اخيراً:
«لورا تعرف شعوري بما يتعلق بخروجها معك أثناء ساعات العمل».
واستعماله لاسم لورا المجرد جعل قلبها يخفق، ولا بد أنه فعل ذلك كجزء من التحدي وتابع قائلا:
«وطالما انها رفضت الذهاب معك فلماذا لا تتركها لعملها؟».

وأجابه جاك:
«لورا رفضت الذهاب معي لانها خائفة من اغضابك».
وابتسم هوغو لأن كلام جاك لم يجرحه وتوجه بالسؤال الى لورا وهو يحدق بها بنظرات ذات معان قائلا:
«أهذا صحيح يا آنسة. هل انت خائفة من اغضابي؟».
وبالرغم من محتوى السؤال، أحست بنوع من التقارب مع هوغو حول السؤال، وتسارعت نبضاتها فأطرقت رأسها وأجابت بسرعة:
«لا، لا، بالطبع لا».
اجابت بدون تفكير وعرفت باللحظة نفسها ان كلامها غير صحيح. لم تكن بالضبط خائفة من اغضابه ولكنها لم ترد ذلك. وكانت تشك فيما لو كان جاك قادراً على تقدير الفرق.
وقال لها هوغو باصرار هادىء:
«اذن أنت رفضت العرض لأنك لا تريدين الذهاب؟».
وعضت على شفتها بتردد وقالت اخيراً:
«بالطبع أود الخروج مع جاك ولكن... أنا اعمل عندك يا سيد جيرارد، وأذكر انك حذّرتني قبل أن أبدأ العمل من اعتبار وجودي هنا اجازة لدى عودة جاك».
وتابعت بسرعة:
«وهذا لا يعني بأني اعتبرها حقاً لي».
واحتبست نفسها عندما نهض من على المكتب بحركة سريعة ووقف يحدق بهما للحظات وقد وضع يديه في جيبيه، وبدا عليه الامتعاض وقال بصوت متحشرج:
«بالله عليك اذهبي معه».
وخرج من الغرفة بسرعة وصفق الباب وراءه.
وبدا غريباً على هوغو ان يفقد سيطرته على نفسه مما جعل كليهما

يقفان مندهشين للحظات بالرغم من أن قلب لورا يخفق بشدة، ولكنها شعرت بالأسف لمغادرته غاضباً بدون ان تعرف بالتحديد كنه السبب.
في حين ان كل ما كان يهم جاك أن تسير الأمور على هواه، ونظر اليها وضحك. ورفعها بين يديه ودار بها في الغرفة حتى رجته ان يتوقف. عندها لبى طلبها وكان يضحك غير مصدق وقال:
«لورا، هل تتصورين ان هوغو استسلم؟ لم احلم في حياتي بهذا اليوم. لقد فعلت المعجزات يا حبيبتي، تعالي ودعينا نذهب قبل ان يتراجع عن كلامه».
ومن الغريب ان لورا لم تعد تشعر برغبة بالذهاب، وكان جاك واقفاً ينتظرها. ولم يجد تفسيراً لترددها مما جعله عصبياً بعض الشيء، ونظر اليها باستغراب. فقالت له:
«في الحقيقة يجب ألا اذهب في حين يجب عليّ انجاز عملي».
فأمسك بذراعيها وهزها قائلاً:
«عزيزتي لورا، يبدو لي انك متأثرة بهوغو. فما بك؟ هوغو قال لك اذهبي وانت مترددة لماذا؟».
لم تجبه للحظة ثم فجأة هزت كتفيها وابتسمت وقالت:
«ربما لأن ضميري يؤنبني. لكن بما انه اعطاني اجازة غير متوقعة فليس من المعقول ان أضيعها، فأين تريد ان تصطحبني؟».
«أين تريدين ان تذهبي؟».
ولم تتردد لورا بتسمية المكان الذي تود اختياره، فابتسمت قائلة:
«أود الذهاب الى باريس. هل هذا بعيد جداً؟».
«أبداً. اذا كانت رغبتك رؤية باريس فسنذهب الى هناك يا عزيزتي».
ولم يخب ظنها بباريس، فقد كان كل شيء كما توقعته، المباني

الجميلة، والشوارع الصاخبة العريضة، التماثيل المتعددة، حركة المرور المكتظة.

وفضلت لورا ترك السيارة والسير في الشمس، وكان هذا ما فعلاه، مما سمح لها برؤية أشياء اكثر.

واختارت اسماً تعرفه وطلبت من جاك أن تذهب الى «ساحة الكونكورد» التي اعجبت بها كثيراً ووجدتها تماماً كما سمعت عنها. ولم يمانع جاك في العمل كدليل سياحي لها لأنه لاحظ السرور عليها. اعجبتها الحدائق والنوافير الى حد كبير، والتذكار الذهبي حيث دفن نابليون. وأجمل ما رأته بالرغم من رؤيته من مسافة بعيدة، كان برج ايفل حيث بدا هيكلا غير حقيقي في ضوء اشعة الشمس عن بعد.

اما ساحة «الكونكورد»، فقد كانت ساحة ضخمة منظمة بشكل جميل، بأشجارها العالية والتماثيل والناس والشمس المشرقة. كل ذلك بدا متلائما وجعل من مدينة باريس حلماً جميلا. واخيراً استقرا في أحد المقاهي وجلسا يشربان القهوة مع بعض الحلوى الفرنسية الشهية ولم تعرف كيف فتح موضوع هوغو ولكن عبوس جاك افهمها انه لم يسر ابداً بذكر هوغو.

وقالت لورا:

«اتساءل فيما اذا كان عليّ أن اعوّض العمل غداً، فلربما يقرر السيد جيرارد أن يجعلني اعمل اكثر».

واتكأ جاك بمرفقيه على المنضدة البيضاء الصغيرة أمامه وشعّت عيناه وقد امسك بفنجان القهوة وقال:

«هذا ليس غريباً عليه».

وتطلعت اليه لورا باستغراب لأنه بالرغم من قسوة هوغو فقد وجدته عادلا دائما وليس سخيفاً وموافقة جاك على تساؤلاتها حيرتها.

ونظرت اليه لتجد نظرات الاستغراب في عينيه وقالت:

«بالتأكيد انه ليس كذلك».

وهزّت رأسها وتابعت:

«فهو لن يكون سخيفاً بشأن خروجي معك اليوم، فليس هذا من طبعه».

وتعجب لرأيها بخاله وقال:

«لا؟ أنت اصبحت خبيرة بخالي يا عزيزتي، فلربما كنت على حق في شكوكي الأولية بعض الشيء... هه».

فأجابته لورا بحزم واحمرّ وجهها بعض الشيء وكأنها احست بكذبتها وقالت:

«بالتأكيد انت مخطىء».

وتلمس وجهها المحمرّ الدافىء وسألها برقة:

«أحقاً انا مخطىء؟».

وانزعجت لأنه كوّن الانطباع الخاطىء، فأبعدت يده عنها وهزّت رأسها بقوة وقالت:

«أتمنى لو انك لم تفترض سلفاً أني سأنضم بشكل تلقائي الى جيش المحبات والمعجبات بخالك».

وقصدت أنت تستعمل لغة صريحة لتصدم جاك لتدفعه لتصديقها وتابعت قائلة:

«لا يا جاك فلن انضم الى صف معجباته، وأرجو الا تتطرّق الى هذا الموضوع مرة ثانية».

«عزيزتي».

وأبعد قهوته وأمسك بيدها وقال:

«أنت غاضبة مني وأنا لا أود اغضابك».

وأنكرت لورا بقولها:

«أنا لست غاضبة».

وكانت على استعداد لنسيان الموضوع فيما اذا كان هو على استعداد لأن ينساه وتابعت قائلة:

«وأنا بالتأكيد لست على استعداد لأن افقد اعصابي وأشوّه جمال يومي في باريس».

«حبيبتي».

وقبّل يدها برقة ونظر في عينيها وقال:

«كل ما يهمني ألا اترك هوغو، كيف يقولون - يتحكّم بك؟ - ولكني استعملت التعابير الخاطئة أنا آسف يا عزيزتي».

وأجابته بهدوء قائلة:

«انه لا يتحكم بي وأنا مستغربة ما تقوله، كيف تفكّر انه قد يتحكّم بي. ألا تتفق مع خالك يا جاك؟».

وهزّ كتفيه وقال:

«بالطبع».

وترك يدها وامسك بفنجان قهوته وشرب ما تبقى منها ووضع الفنجان على المنضدة ولفّ يديه بحرص وقال بجدية:

«كنت اظن انه انسان رائع عندما كنت صبياً صغيراً».

وتابع وكأنه يتكلم مع نفسه قائلا:

«وعندما توفي والدي كان. . .».

وكانت يداه تعبران اكثر من كلماته وبدت عليه الجدية، وتابع قائلا:

«انه جيد جداً مع الاطفال. يجب ان تريه كيف يعامل اطفال برونو».

وقالت لورا:

«لقد قابلت برونو».

وتذكرت المقابلة والخطأ الذي ارتكبته بأن ظنت انه أتمّ تعليمه في

انكلترا. ورفع جاك حاجبه وقال:

«ولكن هوغو الآن لا يوافق على تصرفات برونو».

وأومات لورا لأن كلامه أكد توقعاتها وقالت:

«ظننت ذلك. بالرغم من اني لم اعرف السبب بالطبع».

وهزّ جاك كتفيه وبدا عليه الضيق وقال:

«انها قصة قديمة».

وللحظة حاولت لورا مقاومة الاغراء ولكنها لم تستطع ابعاد سر فيليب جيرارد عن مخيلتها وهذه هي فرصتها لتعرف ماذا جرى له. وقالت:

«وأيضا عرفت عن خالك الآخر، الذي توفي - فيليب».

وحدق بها للحظة غير مصدق. وبدا عليه الحزن بعض الشيء وقال بهدوء:

«كان اكثر من موت طبيعي».

وشعرت لورا بهبوط قلبها وقبضت على المنضدة بشدة.

وجلسا كلاهما متوترين في ذلك المقهى الصغير في باريس والشمس الساطعة وكل الاشياء الجميلة المحيطة بهما والتي لم تكن توحي بالتوتر والعصبية. وقالت لورا برقة:

«كتب بعض الموسيقى الجميلة».

كانت تنوي أن تخبره بموهبة خاله ونسيت الوعد الذي قطعته على نفسها لهوغو بألا تخبر احداً عن شريط التسجيل. وكان جاك ينظر اليها بطريقة غريبة وأمسك بيديها واقترب منها وقال:

«ماذا تعرفين عن موسيقاه؟ أنا لا يمكنني أن اصدق ان هوغو. . . لا».

ومن ثم استبعد الفكرة بهزة قوية من رأسه، وعندها تذكرت لورا الوعد.

واجابته محاولة ايجاد الكلمات التي تغطي خطأها قائلة:

«أنا. . . أنا اكتشفت بالصدفة».

وبدا عليه الاستغراب وقال:

«اكتشفت؟ انت اكتشفت بعض موسيقى فيليب؟ اين يا لورا، وكيف؟».

وبات الموضوع مكشوفاً، فهزت كتفيها وقالت بصوت متحشرج:

«أنا وعدت بألا اخبر انساناً. ارجوك يا جاك، لا تدع هوغو يعلم باني اخبرتك».

وكان ينظر اليها وفي عينيه قليل من الشك والاستغراب وسألها:

«وهل هذا يهم؟».

فاومأت برأسها وقالت:

«لا اريد ان أحنث بوعد قطعته على نفسي».

وضغط على يديها بلطف وقال:

«اخبريني عن موسيقاه».

ونظرت اليه للحظات وترددت لشعورها بتأنيب الضمير وقالت:

«لا اعلم لماذا يريد هوغو الاحتفاظ بهذا السر. ولكن لن يضر اذا اخبرتك فيها اذا وعدتني ألا. . .».

فأكد لها قائلاً:

«لن ادع هوغو يعلم بانك حنثت بوعدك، لورا اخبريني، ما هي تلك الموسيقى؟».

«اسمها انشودة الخريف، وجدت شريطاً تسجيلياً لها خلف بعض الكتب في المكتبة وفاجأني هوغو وأنا استمع لها منذ يومين، وهناك رسالة لهوغو في بداية التسجيل».

واومأ برأسه ببطء وقال:

«بالطبع سيكون هناك رسالة له. فهوغو كان الوحيد الذي اعتقد بأنه موهوب».

وقالت برقة:

«أنني ادركت انهما ولا بد كانا قريبين جداً لبعضهما».

وتذكرت مرة ثانية النظرة الرقيقة في عيني هوغو وسألت جاك قائلة:

«جاك، كيف توفي؟».

ولم يجبها جاك للحظات ومن ثم نظر اليها وابتسم وما يزال يمسك بيديها وسألها:

«هل يجب ان تعرفي الآن يا عزيزتي؟».

ولم ينتظر جوابها وانما أطرق رأسه وقال:

«فيليب كان، كيف يقولون؟».

وقام بحركة دائرية قرب رأسه .

«كان مخبولا هل تفهمين؟».

«ياه. . . مسكين فيليب».

وبدا عليه السرور بتعاطفها، وتابع قائلاً:

«وفي الوقت نفسه كان ذكياً، فقد ذهب الى اكسفورد كما فعل هوغو وأنا».

«اعرف ذلك».

وقطب جاك ونظر اليها باستغراب وقال:

«اتعرفين ذلك؟».

واطرقت لورا رأسها وقالت:

«هوغو اخبرني. بالرغم من انه لم يخبرني من بالضبط، ولكنه عندما قال اخي افترضت انه برونو».

واومأ برأسه بعد أن تفهم الموضوع وقال:

«آه. نعم».
وهزت لورا رأسها متذكرة الاحراج الذي حصل في تلك اللحظة قبل أن تشرح لها السيدة جيرارد وقالت:
«لقد تحدثت مع برونو على انه هو الذي ذهب الى اكسفورد».
وقامت بحركة بيديها على انها لم تكن لتعرف غير ذلك، وتابعت قائلة:
«لم يكن عندي فكرة عن اخ ثالث. ولكن السيدة جيرارد اخبرتني بعد ذلك عن وجود فيليب».
وقال جاك:
«لا احد يذكره. الا أن هوغو لن ينساه ابداً. فهو الوحيد الذي أدرك مدى ذكائه، واعتقد بامكانية نجاحه، ولكنه كان صغيراً جداً في السن بحيث لم يستطع مساعدته. وما من احد غير هوغو أخذ فيليب على محمل الجد».
والصدمة التي شعرت بها لورا ظهرت آثارها في عينيها وذهلت لهول المفاجأة وقالت:
«ولكن بالتأكيد ان السيدة جيرارد... أمه؟».
فصحح لها جاك كلامها قائلا برقة:
«زوجة ابيه. جدتي كانت الزوجة الثانية، هل تفهمين، بالرغم من ان فيليب كان طفلا صغيراً عندما تزوجت جدتي ـ وكانت ارملة حديثاً عندما توفي فيليب».
«ها... فهمت الآن».
وتفسرت الأمور في مخيلة لورا. لهذا السبب اذن ترك الشريط لهوغو وليس لشخص آخر. ولما كانت قد سمعت الصوت الشاب الحزين والموسيقى الجميلة شعرت بنوع غريب من التعاطف مع هوغو جيرارد فجأة.

وقال جاك:
«لما اكتشفوا ان فيليب كان غريباً بعض الشيء لم يأخذه احد على محمل الجد الا هوغو الذي أحبه حتى العبادة كأخ اكبر. والدتي كانت الابنة الاولى لجدتي ولفترة طويلة خشوا الا يكون صبي آخر في العائلة ولكن بعد خمس سنوات من ولادة والدتي، ولد هوغو وبعدها بعام واحد ولد برونو».
وتذكرت لورا محادثتها مع السيدة جيرارد وقالت:
«بهذا أصبح الاسم بأمان مرة ثانية».
وهزّ جاك كتفيه بشكل معبر وقال:
«بالضبط».
وتابع قائلا:
«اظن ان الجميع شعروا بنوع من الشعور بالذنب عندما أقدم فيليب على ما فعل، ولكنه كان خلاصه ايضا».
وجلس جاك ممسكاً بيديها وكأن كليهما غير منتبهين لما حولهما وتابع جاك قائلا:
«لقد انتحر يا لورا في صحن الدار الخلفي، انتحر يا عزيزتي».
وتذكرت لورا ذلك الجزء من البيت عندما اوصلها السائق روبرت لتتسلم عملها، وارتجفت. كل تلك النوافذ المغلقة كالعيون المغلقة، والاصداء. لا عجب ان بدا الجو غريباً وغير محتمل بما أن روح فيليب جيرارد ما زالت تحوم فيه.
ومن ثم نظرت الى جاك العابس على غير عادته وشعرت بنوع من الذنب لكونها فتحت الموضوع وجلبت له تلك الذكريات الحزينة. وضغطت بيديها على يديه وقالت:
«أنا آسفة انني سببت الحزن لكلينا».
وبدا عليه الحزن للحظات وبعدها ابتسم بهدوء ومن ثم قال:

«سوف ننساها اذا وعدتني ألا تذكري فيليب مرة ثانية. حدثت القصة - يا الهي - منذ واحد وعشرين عاماً مضت وما زالت تؤلمنا، ولذلك سوف ننساها».

وفكرت لورا - من واحد وعشرين عاماً لا بد ان هوغو كان ما يزال في الخامسة عشرة من عمره ولا عجب انه تأثر بموت اخيه الى هذا الحد بعد وفاة والده. ربما لأن جاك يظن انه مضت فترة طويلة ويجب الا تؤلمهم بعد الآن، ولكنها ستؤلم هوغو لفترة طويلة. ولاحظت عندها ان جاك كان عابساً فابتسمت وهزّت رأسها مكررة كلامه قائلة:

«سوف ننسى».

٦ - لا . . . لن أتزوجك.

صعب على لورا ان تجلس في الغرفة نفسها التي استمعت فيها الى موسيقى فيليب، وتعمل دون ان تتخيل الشاب الذي توفي بذلك الشكل الحزين.

ولطالما حدقت بآلة التسجيل وتساءلت فيما لو ان احداً غيرها سيستمع لتلك الموسيقى الجميلة او ان هوغو قد خبأها الى الابد. ولا يمكن لها ان تسأله عنها على الاطلاق بالرغم من انه كان بودها لو تستمع اليها مرة ثانية.

وفي الاسبوع الذي تلا ذلك، قلما كان جاك يقترب من المكتبة، واحست لورا ان هذا عائد لتأثير هوغو عليه، وبالرغم من عدم اعترافه بذلك فقد كان لهوغو تأثير كبير عليه. فهناك نوع من الاحترام بين الخال وابن اخته رغم جو التحدي.

وكذلك لم تر الكثير من هوغو مما جعلها تتساءل لو كان جاك قد جعله يقطع على نفسه عهداً بالابتعاد عن المكتبة فيما لو ابتعد هو عنها ايضاً.

ربما انها كانت وقاحة منها ولكنها شعرت انه في كل مرة يتواجد فيها الاثنان معها تشعر بنوع من الصراع بينهما. كانت سعيدة ومسرورة بما انجزته في عملها بالرغم من انشغالها بالتفكير بموضوع فيليب جيرارد ونهايته الحزينة. فقد افرغت اثنين من الرفوف في احدى جهات

الغرفة وبدأت لوائحها تتضخم بسرعة.

وبعد عدة ايام اكتشفت كتابا بعنوان معروف لديها في الرف قبل الاخير من الاعلى. وقررت قراءة النسخة الفرنسية من «دوماس». لم تتوقع ان تفلح كثيراً ولكنها ستحاول كتمرين لعقلها. وكانت على يقين بأن هوغو لن يمانع باستعارتها له.

وكان من الصعب عليها تسلق السلم حتى الدرجات العالية، ولكنها اذا كانت حريصة فستكون بأمان، ولكنها بالتأكيد لا تنوي طلب المعونة كما قال لها هوغو.

وعندما بدأت بتسلق الدرجات العليا من السلم شعرت باهتزاز وعدم ثبات السلم مما دفعها لمحاولة التمسك بالسلم. وحيث كانت واقفة بدا منظر الحديقة مدهشاً، فوقفت للحظات تتأمل المنظر قبل ان تتناول كتابها.

ان الكتاب في مكان اعلى مما كانت تعتقد، لذا كان عليها ان تتسلق درجة اخرى، ووقفت على رؤوس اصابعها تحاول ان تتمدد لتصل الى الكتاب عندما فتح أحدهم الباب، ففقدت توازنها عندما حاولت النظر لتستطلع من القادم، وصدرت عنها صرخة تحذير ووقعت. كان الارتفاع عن الارض عالياً وبالرغم من ان الارض مفروشة بالسجاد فسيكون وقوعها قاسياً.

وقبل ان ترتطم بالارض، تلقاها احدهم بقوة واحتبست انفاسها.

كان تنفسها متسارعاً ومتقطعاً، وقد اغمضت عينيها وتمسكت بمنقذها دون ان تهتم او تعرف من هو، ودفنت رأسها في صدره.

ودون ان ترفع رأسها ادركت هوية منقذها، فما من احد غير هوغو يرتدي ذلك القميص الازرق المهترىء، مفتوح الازرار حتى الخصر. وكذلك اليدان القويتان اللتان امسكتاها بقوة وكأنه

يخشى ان تقع مرة ثانية. كان وجهها ملتصقاً بصدره بحيث كانت تسمع ضربات قلبه القوية الثابتة في حين ان قلبها كان يخفق بوحشية غير منتظمة. وللحظة استكانت بين يديه، ولم تحاول المقاومة لشعور غريب خامرها بالارتياح بالرغم من معرفتها حق المعرفة بأن هذا شعور سخيف.

وسألها بصوت عميق هادىء:

«ألم امنعك من تسلق تلك الدرجات؟».

أحست بتقلصات غريبة في معدتها، واومأت برأسها ولكنها لم تتحرك بينما عيناها ظلتا مغمضتين وقالت:

«اردت كتاباً من الرف العلوي قبل الاخير».

واجابها:

«وهكذا اذن تسلقت الدرجات من اجله؟».

واومأت مرة ثانية وسمعت تنهيداته العميقة وقال:

«اهكذا انت دائماً غير مطيعة؟».

واخيراً رفعت رأسها ونظرت الى ملامحه القوية محاولة استطلاع التعبير على وجهه لتعرف كيف يجب ان تكون ردة فعلها. ولم تقابلها الا نظرته الصارمة المعتادة مع قليل من السرور الواضح في عينيه الرماديتين.

واشاحت بنظرها بسرعة وبدأت تحدق بيديها المستقرتين على ذلك الصدر الواسع وقالت:

«لم ار من الضرورة ازعاج اي انسان من اجل كتاب واحد».

وامسكها من ذراعيها ونظر اليها بغضب ممتزج بالسرور وقال وكأنه يلقي عليها محاضرة:

«وانا لا اعطي تعليمات بدون سبب وجيه. ويجب الا تستعملي ذلك السلم مرة ثانية. فها انت قد علمت ماذا يحدث عندما

تستعملينه».
واجابته قائلة:
«حصل ذلك لأنك فتحت الباب، ونظرت انا لأرى من القادم».
فقطب حاجبيه وقال:
«هه، هكذا اذن فهي غلطتي؟».
واسرعت لورا للانكار قائلة:
«لا، انا لم اقل ذلك. فليس مهماً من فتح الباب».
وأجابها:
«لو كانت والدتي لما كان باستطاعتها ان تنقذك من الوقوع».
وقالت برقة وهي تحدق بأصابعها:
«ولكن لو كان جاك لفعل».
ولم تعرف ما الذي دفعها لتجيبه على هذا النحو. وشعرت بقسوة يديه اكثر الآن، وحسبت انه سيفقد اعصابه، ونظرت اليه لتجده مبتسماً وقال:
«وبلا شك لكان استغل الموقف، اليس كذلك يا لورا؟».
وشعرت بالاسف لأنها اثارته على هذا النحو، ولكنها فعلت ذلك بدون شعور، ولا بد انه سيستغل تسرعها الى اقصى الحدود الآن، وقالت:
«انا. . . لا اعرف ما قد يفعل».
وحاولت الابتعاد عنه اخيراً.
وقال لها وهو يشدها اليه اكثر:
«احقاً انك لا تعرفين».
وحاولت ان تدفعه عنها، ولكن ما من فائدة. . . وبعد لحظات فتح الباب فجأة ليعيدها الى مشاعرها، ولكنها وقفت لحظة غير قادرة على القيام بحركة.

وسمعت صوت السيدة جيرارد تقول:
«هوغو، ما هذا يا عزيزي؟».
اطمأنت لورا انه لم يكن جاك، كما توقعت للحظات.
واستدارت لورا بسرعة وتوجهت الى المكتب. وقد ادارت ظهرها الى السيدة جيرارد. وكانت هناك لحظة صمت شعرت اثناءها ان السيدة جيرارد تحدق فيها محاولة ان تفهم فيما لو كانت تلك هي المرة الاولى التي يحصل فيها شيء من هذا. لأن ذلك من المحتمل ان يجرح مدللها جاك.
واجابها هوغو قائلاً:
«ماما، ليس هناك من داع لقلقك».
وعلى ما يبدو ان السيدة جيرارد كانت بحاجة لكي تتأكد من ذلك، ونادت لورا قائلة:
«لورا. . . يا صغيرتي».
وعضت لورا على شفتها واستدارت ببطء وما زالت مطرقة رأسها وقلبها يخفق بشدة، واحست ان هوغو كان يراقبها، وقالت بصوت متحشرج:
«ان السيد. . . السيد جيرارد على حق يا سيدتي. ليس هناك من شيء. ما من شيء جدي».
واقتربت منها المرأة العجوز وتمنت لورا لو كان بامكانها الهرب الى الهواء الطلق.
وعانقتها بلطف وسألتها برقة:
«هل انت بخير يا عزيزتي؟».
واجابها هوغو من الخلف بصوت غاضب وعصبي قائلاً:
«ليست هذه اول مرة يحصل مثل هذا مع لورا يا ماما. ولا داعي لاثارة الضجة».

ونظرت لورا اليه بنظرة خاطفة وشعرت انه غاضب اكثر مما هو مرتبك. وليس من المعقول ان يشعر بالارتباك او الحياء في مثل هذا الموقف، ولكنها لم تفهم لماذا كان غاضباً.

وكان ما رأته من خلال نظرتها الخاطفة ما سبب الاستغراب والدهشة، مما جعلها تتنهد، وخلال لحظة استدار بسرعة وخرج من الغرفة وتركهما تقفان بصمت.

ووضعت السيدة جيرارد يدها على ذراع لورا بلطف وحدقت بها للحظة ومن ثم قالت:

«انا لن اخبر جاك عن ذلك».

وهزت لورا رأسها بدون تفكير وقالت:

«هذا لا يهم».

وادركت انها تفوهت بكلمات خاطئة. فاهتمام السيدة جيرارد كان الا تجرح جاك وما قد يشعر به فيما لو شاهد مثل هذا المشهد، وقالت السيدة جيرارد:

«ولكن هذا سيجرح جاك، وانت لا تودين ذلك يا صغيرتي اليس كذلك؟».

وترددت لورا، وهي ما زالت تتخيل نظرات هوغو الغريبة المربكة قبل ان يغادر الغرفة وقالت بدون تفكير:

«كلا يا سيدتي».

ومن ثم تابعت:

«ولكن ليس هناك من علاقة خاصة بيني وبين جاك، كما تتصورين وانا لا اشعر بتأنيب الضمير حول ما حصل».

واجابتها السيدة العجوز قائلة:

«ربما ان ضميرك لا يؤنبك، ولكنك ستجرحين شعوره فيما لو حدث هذا مرة ثانية».

ان كان ضميرها يؤنبها ام لا فقد كانت تجربة يصعب نسيانها. وبالرغم من تأكيداتها للسيدة جيرارد بان علاقتها بجاك علاقة صداقة، ولكنها شعرت بالارتياح لان المرأة العجوز وعدتها بالا تخبره. فآخر ما كانت تريده هو شجار بين جاك وهوغو وخاصة ان جاك لن يأخذ الامر بالروية.

وفي اليومين اللذين تليا ذلك، اخذ جاك يتصرف بنوع من حب التملك ليظهر انها خطيبته، ومن حقه ان تكون كذلك، بالرغم من انه كان حريصاً على ان يبقى بعيداً عن المكتبة خلال ساعات العمل. وفكرت لورا- انه حتى جاك كان يعرف تماماً اين يرسم الخط بينه وبين هوغو بحيث لا يتعدى حدود هوغو.

كانا يمشيان في الحديقة في احدى الامسيات عندما قام جاك بأول حركة ايجابية ليحول علاقتهما الى علاقة اكثر متانة. وبالرغم من ان اقتراح جاك لم يكن غريباً بشكل كلي ولكن لورا تمنت لو كان بامكانها تحويل الموضوع. فلم تكن جاهزة لمناقشته بعد.

كانت امسية باردة، وقد غطت السماء الحمراء غيوم رمادية، وكأن الجو ينذر بعاصفة.

لم ينطقا بالكثير خلال مسيرهما عبر ممشى الزهور المنظم. ومشيا بحيث تركا القلعة خلفهما تبدو من بين الاشجار بنوافذها التي تعكس اشعة الشمس الحمراء والاضواء الذهبية. لم يكن يوماً جيداً بالنسبة الى لورا فقد كانت مشغولة، ولم تكن قادرة على التركيز على عملها كالعادة، كما كانت تشعر بالضيق، وعزت ذلك الى العاصفة التي تهدد الجو.

وضع جاك ذراعه حول خصرها النحيل بينما كانا يمشيان ببطء. واقترب منها اكثر وقبل شعرها وهمس في اذنها قائلا:

«انت تعرفين اني اود الزواج منك؟».

ولم تجبه لورا مباشرة، فردّد قائلاً:
«لورا؟ حبيبتي؟».
فنظرت اليه وهزت رأسها وقالت:
«اعرف انك ذكرت ذلك يا جاك».
وكان من الصعب عليها ايجاد الكلمات المناسبة لتشرح له انها بالرغم من اعجابها به، فلا يمكنها قبوله زوجاً لها. ولم تكن متيقنة ايضاً فيما لو كان ملماً بمسؤوليات الزواج، فقد بدا لها انه غير ناضج في كثير من الامور، وشعرت بانها انضج منه بالرغم من انه يكبرها بعام كامل.
وقال لها:
«ولكن ما اعنيه يا عزيزتي لماذا...».
وتوقفا فجأة وادار وجهها اليه وشعّت عيناه في الضوء الخافت وأمسك بذراعيها بشدة وسألها بهدوء:
«لماذا لا تفكرين بي بشكل جدي؟».
وبالرغم من كل التحفظات فقد تأثرت بموقفه ورغبته في ان يؤخذ على محمل الجد.
وكان قلبها يخفق بشدة بينما كانت تحاول ايجاد الكلمات المناسبة، وحاولت تحاشي النظر في عينيه وقالت برقة:
«انا لا اشك باخلاصك يا جاك. ولكنني اظن أنك لست مدركاً تماماً ماذا يعني الزواج».
وضحك برقة وطبع قبلة على جبينها وقال:
«انا اعرف تماماً يا حبيبتي. انا احبك واريدك ان تكوني زوجة لي، وبالرغم من ان هوغو ما زال ينظر لي على انني طالب مدرسة، ولكنني اؤكد لك بأنني لست كذلك».
ونظرت اليه لترى العينين البنيتين بنظرتها الدافئة وقالت:

«انني اعرف ذلك».
«اذن ستتزوجيني يا لورا؟».
وكان الموقف اصعب بكثير مما توقعت، وهي تحاول ايجاد الكلمات لرفضه بالرغم من انها على يقين بانها حمقاء لمجرد التفكير برفضه. فقد كان مغرماً بها، وغنياً، وجذاباً جداً. وهناك عشرات الاسباب التي تدعو فتاة مثلها لتقبل عرضه مباشرة وتعتبر نفسها محظوظة لانه طلب يدها. ولكنها لم تستطع، لم تكن قادرة على قبوله وهي على يقين بأنها لن تمنحه كل قلبها.
وصمتت للحظة طويلة حيث وقف هو محاولاً ايجاد اي تعبير في عينيها، واجابته اخيراً بصوت متقطع:
«انا... انا لا استطيع يا جاك».
«لورا؟».
ورفع ذقنها بيده، ولما نظرت في عينيه، وأحست انها ربما كانت تحبه. وسألها قائلاً:
«ألأنك لا تحبينني، ام انك...».
واجابته بسرعة وحزم بقولها:
«لا».
ولم تتوقف لتسأله بمن يشك. وشعرت بقلبها يخفق بشدة، وكانت تهز رأسها بشدة لانها مقتنعة تماماً. وارادت ان تقنعه ايضاً.
وسألها برقة:
«اهذا صحيح يا حبيبتي؟».
وهزت رأسها على الفور وقالت:
«صحيح تماماً. ولكن انا آسفة يا جاك، ولكنني لا احبك كفاية».
وتنهد بعمق وشعرت ان تنهده صادق بالرغم من لمحة المبالغة، وتلمست وجهه برقة، فبالرغم من انها معجبة به لكنها لم تكن معجبة

به بشكل كاف.

وامسك بيدها وطبع عليها قبلة ناعمة وقال:

«اذن، لا يمكنني ان اصطحبك معي».

واستدارت لورا نحوه بسرعة وحدقت به غير مصدقة. وتابع قائلا:

«انت لست من ذلك النوع، بحيث انك مستعدة للقدوم بدون ان تكوني مرتبطة بزواج».

وتجاهلت كلماته الاخيرة وقالت:

«تأخذني؟ تأخذني الى اين يا جاك؟».

وهز كتفيه وحتى قبل ان يضيف اي شيء آخر، عرفت انه شيء يتعلق بهوغو، وانه شيء تتوقعه.

وخطر ببالها انه ربما كان هوغو ينوي ارساله في رحلة طويلة اذا لاحظ انه يفكر بلورا جدياً.

وطبع جاك قبلة ثانية على راحة كفها وضغط على يدها وقال برقة:

«انني ذاهب بعيداً يا عزيزتي».

وعرفت انها ربما لن تراه ثانية بعد ذهابه هذه المرة، ولكنها سألته لتعطي نفسها وقتاً للتفكير قائلة:

«خارج البلاد؟».

واجابها بقوله:

«عدة أماكن».

وهز بكتفيه بحيث بدا واضحاً بانه قد استسلم للواقع، فكيف لها ان تعرف؟ وتابع قائلاً:

«كان هذا دائماً من المقرر. فالرجال في عائلتنا يذهبون في هذه الرحلة الطويلة عندما ينهون دراستهم بشكل رسمي. يسافر احدنا حول العالم ليتعلم الحياة هل تفهمين؟ انها فرصة كبيرة يا جميلتي».

«وانت تواق للذهاب حقاً؟».

وفكرت انه من السخافة ان تسأله، لانه من الطبيعي ان تكون عنده الرغبة بالذهاب، ولكنه اراد ان يضرب عصفورين بحجر، وابتسمت عندما قال:

«اود ان اذهب. ولكنني اريدك ان تأتي معي يا عزيزتي كزوجتي».

ووقفت على رؤوس اصابعها وطبعت قبلة على جبينه وقالت:

«عزيزي جاك، انا شاكرة لك، ولم اشك ولا لحظة باخلاصك، ولكن. . .».

هزت رأسها متسائلة فيما اذا كان بامكانها ايجاد الكلمات المناسبة لتفسر له، وقالت ببطء محاولة افهامه:

«لقد قرأت كتاب هوغو. وانت ستسير على هواه. . . اعني نوعية المغامرات نفسها التي كتب عنها وان تكون هناك زوجة في صحبتك فهذا غير مناسب على الاطلاق في مثل هذه الرحلة».

واصر عليها قائلاً:

«ولكنني لست هوغو».

وهزت رأسها وقالت برقة:

«ولكنك شبيه له وربما اكثر مما تدرك انت».

وحدقت بذلك الوجه الجذاب والعينين البنيتين الخبيثتين، وفكرت انه يمكنها ان ترى هوغو يعيد نفسه في جاك. ويتبع الخطوات والاعمال نفسها .

وبالتأكيد ان زوجة ليست ضرورية في مثل هذه الرحلة، وكانت على استعداد لتقبل بان هوغو يعرف تماماً كيف يتصرف عندما رتب ذلك، وسألته قائلة:

«وهل تمت كل الترتيبات؟».

وهز جاك كتفيه وقال:

«كل شيء مرتب. لم اتوقع ان اغادر بهذه السرعة ولكن هوغو قام بترتيب مغادرتي مع صديق له في اول مرحلة من الرحلة. ويجب ان اغادر الى افريقيا خلال ثلاثة اسابيع».

«هوغو؟».

وكان صوتها يوحي بلهجة التأكيد مما جعل جاك ينظر اليها باستغراب متسائلاً عن سبب لهجتها وقال:

«بالطبع، فهو على علم بهذه الاشياء».

ولم يفترض أي شيء غريب في كون هوغو قد رتب رحلته بهذه السرعة حتى انها بدأت تتساءل فيما لو كانت غير عادلة بشكوكها بهوغو، وقالت:

«نعم، نعم بالطبع يجب ان يعلم».

وابتسم جاك. ورفع ذقنها بيده وحدق بعينيها وسألها برقة: «الا تأتين معي يا عزيزتي؟».

وبالرغم من الشعور الذي راودها للموافقة، فقط لترى ماذا ستكون ردة فعل هوغو، ولكنها هزت رأسها بالنفي. فاذا كان هوغو قد رتب هذه الرحلة ليبعد جاك عن طريق الضرر فماذا سيفعل ليوقفها عن الذهاب معه، ولكنها قالت:

«لا استطيع يا جاك. فانا علي ان اعمل، وانا متأكدة بانك ستندم عاجلاً اذا ذهبت معك».

وانكر ذلك قائلاً:

«لا. لا، انا اريدك ان تأتي معي».

وهزت رأسها مرة ثانية وقد بدت على فمها ابتسامة ملتوية عندما تخيلت كيف يمكن له ان يندم عندما ينفتح امامه العالم كله، ومن جهة اخرى يجد نفسه مرتبطاً بزوجة، مما سيمنعه من تتبع خطوات خاله وتجربة ما يريد ان يقدم عليه، وقالت برقة:

«اذهب وحدك. وسأكون بانتظارك عندما تعود، ربما ليس هنا على ما اعتقد. وعندها اذا اردت فبامكانك ان تجدني».

«لورا...».

وتابعت هامسة:

«تمتع برحلتك».

وتابعا المسير في ممشى الازهار.

وكانت لورا في اليوم التالي تحضر لوائح الكتب عندما فتح الباب ودخل هوغو.

وكان من غير المعتاد ان يحضر في مثل هذه الساعة من النهار بحيث غمزت بعينيها باستغراب ونظرت اليه. ولم يتكلم للحظات وانما تناول سيكارة من العلبة على المنضدة واشعلها مرسلاً غمامات الدخان. وبالطبع اخذ مكانه على طرف المكتب وبدأ يهز بساقه وسيكارته ترسل دخاناً ازرق حوله وسألها بحدة:

«هل تعلمين ان جاك مسافر؟».

كان سؤاله حاداً بحيث وقفت محدقة به لا تفهم ماذا يحدث.

واجابته اخيراً:

«نعم، اعرف. فقد اخبرني بنفسه».

«نعم بالطبع».

كان قلبها يخفق بشدة ولم تعرف ما الذي كان يسبب ذلك التشوش، وكل ما كانت متأكدة منه انه يسبب لها تقطع تنفسها. فمنذ ان وقعت مرة في المكتبة وانقذها وهي تشعر بهذا الشعور. فهل هي ذكرى تلك الحادثة ام انه تخوفها من استجوابه لها حول ردة فعلها تجاه سفر جاك. وكان يبدو بلونه البرونزي الذي ابرزه قميصه الابيض جذاباً الى حد لا يقاوم. فقد بدا مثالاً للرجل الفرنسي بالرغم من شعره الاشقر وعينيه الرماديتين.

كان يرتدي بنطالا غامقاً وجلس على طرف المكتب يهز بساقه ويضرب على المكتب الخشبي بشكل منتظم.

وبالرغم من ان حرارة الجو كانت منخفضة فلم يرتد سترة واكتفى بالقميص الابيض الشفاف الذي اظهر ذراعيه القويتين. ولا بد انه عرف الاثر الذي تتركه تلك النوعية من الثياب واراد ان يستفيد من الموضوع الى الحد الاقصى.

ومن ثم اطفأ سيكارته بعد لحظات بعصبية، وحتى هذه الحركة البسيطة صدرت عنه بقسوة، وارتعشت لورا لمراقبته، ومن ثم قال:

«وبالطبع لن تذهبي معه».

توقعت ان يستجوبها بشأن ذلك ولكنها لم تتوقع مثل هذا التصريح المطلق المفاجىء، واحست باحمرار وجهها. وشعرت بانها صغيرة جداً، خاصة وانها كانت تجلس على الكرسي خلف المكتب، بينما ارتفع عنها هو مهيمناً فوق المكتب، فوقفت لتواجهه وبدا عليها الغضب، وقالت بحزم:

«لا اعلم ماذا بامكانك ان تفعل فيما لو قررت الذهاب».

ورفع حاجبه ولم يبد عليه الانزعاج او التأثر بغضبها وقال:

«وهل طلب منك؟».

وكان من الصعب عليها النظر في عينيه ومواجهته فأطرقت رأسها واخذت تحدق في يديها وقالت:

«جاك طلب مني الزواج».

وبدا عليه عدم تصديقها، ولوى وجهه وهز كتفيه وقال ببرود:

«هذه حماقة الى آخر الحدود».

وتابع قائلاً:

«توقعت منه ان يخبرك بانه ذاهب وظننت انه ربما يطلب منك ان ترافقيه كـ...».

وهز كتفيه بطريقة جعلت لورا تحمر وتشعر بالحنق وضغطت على يديها بينما تابع هوغو:

«ولكنني لم اتوقعه ان يتسرع ويطلب منك الزواج. وبالطبع انت رفضته يا آنسة».

استعماله لكلمة آنسة افهمتها انه يريد ابقاءها في مكانها، وخطر لها للحظة ان تخبره بانها قبلت الزواج بجاك، ولكن هذا يعني انها سترتبط بكلمة وهي غير مستعدة لتنفيذها، فقط لتغضب هوغو، وحدقت به للحظة ومن ثم قالت:

«ماذا تقول لو اخبرتك اني قبلت عرضه؟».

وابتسم غير مصدق ما قالت ومن ثم قال بثقة:

«لم توافقي يا آنسة».

«اوه؟».

وهزّ رأسه وما زالت الابتسامة بادية على محياه، وحدق بها بثبات وقال بصوت رقيق:

«أنا اعرفك جيداً يا بنيتي».

وشعرت بتقلص في معدتها بينما تابع هوغو قائلاً:

«انت شريفة جداً، ورومانسية، لا يمكنك ان تتزوجي رجلاً لا تحبينه. ولا تقولي لي انك تحبين جاك».

وقبل ان يتسنى لها ان تجيب اضاف!

«انت لا تحبينه».

وضغطت على يديها بقوة وشعرت باحمرار وجهها اكثر، فكيف له ان يدعي بانه يعرف عنها كل شيء، وقالت:

«كيف تعرف بماذا اشعر؟».

وبدأ يحدق بها متفحصاً اياها وقال برقة:

«انا افهم النساء».

واجابته في محاولة للدفاع عن نفسها وقلبها يخفق بشدة وقالت:
«هكذا تدعي».
فتفحصها مرة ثانية قبل ان يقول:
«تسهل قراءة الفتيات الصغيرات امثالك يا صغيرتي».
واشتعلت عينا لورا بالغضب، ولم تجد الكلمات المناسبة، وقبل ان تدرك ما تفعل صفعته على وجنته اليسرى، وتركت اثراً بحيث شهقت غير مصدقة ما فعلت. وقبل ان تتمكن من الاعتذار بأي كلمة نهض وامسك رسغيها بيده بشدة، وبحركة سريعة مفاجئة صار خلف المكتب قبل ان تدرك ماذا ينوي ان يفعل، امسك ذراعيها وهزها بقوة وعنف بحيث كادت ان تصرخ، وشعرت بالدوار وحاولت ان تبتعد عنه ولكنه عانقها بشدة بحيث لم يفسح لها اي مجال للحركة. ولما تركها كانت الغرفة تدور بها وهي مغمضة العينين وغير قادرة على التركيز وقلبها يخفق بشدة. ومدت يدها لتستند الى المكتب خلفها بينما ابتعد عنها وقد ادار ظهره لها وقال بصوت متحشرج:
«انا آسف جداً يا آنسة».
وتابع قائلاً:
«كان يجب الا افقد السيطرة معك».
وبدت لها اللهجة الرسمية التي استعملها غريبة، ولكنه قد برر لها انه فعل ما فعل لانه فقد اعصابه وحاول معاقبتها.
وحاولت ان تنظر اليه لترى ردة فعله، ولكنها لم تتمكن من تمييز نظراته واحست بالرغبة بالضحك وقالت:
«انا، التي فقدت اعصابي. انا التي يجب ان اعتذر».
واحس برغبتها بالابتسامة واستدار اليها وقال برقة:
«دعينا نتفق ان كلينا فقد اعصابه للحظة».
واومأت رأسها بالموافقة.

ووقفا قريبين من بعضهما في تلك الغرفة الكبيرة، وخيّم الصمت عليهما، وشعرت لورا بالارتباك، والتفسير الوحيد لذلك تجربتها مع هوغو. فمهما كان يعني من عناقه لها فقد شعرت بالارتياح، ولكنه من الحماقة ان تتخيل انه عانقها بهذه الشدة لاي سبب غير انه كان غاضباً، ولكن قلبها رفض ان يتقبل هذا كسبب وحيد.
وهز كتفيه فجأة واستدار اليها، فاحتبست انفاسها. فعبس وهز رأسه قائلاً بهدوء:
«لن ألمسك مرة ثانية يا لورا بدون ارادتك. ارجوك لا تهربي».
ولم تجبه للحظة ومن ثم رفعت نظرها لتلتقي عيناها بعينيه مما اثار ضربات قلبها، وقالت بصوت متحشرج:
«انا لا انوي الهرب».
«هل تثقين بي؟».
واومأت برأسها وقلبها يخفق بشدة. فاخذ يديها بين يديه وقال:
«خشيت ان اكون قد افسدت كل شيء...»
وتردد في حين ان التردد لم يكن من طبيعته على الاطلاق، فنظرت اليه لورا باستغراب وسألته:
«هل يوجد شيء تريدني ان افعله؟».
وبدت الابتسامة في عينيه وقال:
«اود ان اصطحبك في احدى الامسيات، هل تأتين معي يا لورا؟».
وحدقت به للحظات بدون ان تنبس بكلمة، ولم تصدق ما سمعته، وهزت رأسها بحيرة وقالت:
«انا لا افهم».
وعلمت انه سيجد كلامها ساذجاً.
«انت تحبين الموسيقى على ما اظن؟».

واومأت برأسها غير قادرة على ايجاد الكلمات المناسبة. وتقبل ذلك منها قائلاً:

«جيد. اذن ستستمتعين اذا كنت تتأثرين بمدى ابهة ما حولك».

وبدا لها غريباً ان يناقشا الموسيقى، ولم يمض على شجارهما الا دقائق.

لا بد انها استغرقت وقتاً اطول لتعود الى مشاعرها الطبيعية مما استغرق هو من الوقت.

واجابته محاولة ان تكون طبيعية!

«انا عادة لا يهمني المكان اذا كانت الموسيقى جيدة. هل هناك ما سنستمع له؟».

واحست بنوع غريب من التقارب معه ومن ثم ادركت انها ربما كانت تعظم الامور التي يعتبرها هو بسيطة، وتلمس وجنتها باصابعه بلطف وقال:

«سترين».

واستدار، واسرع بالخروج من الغرفة وتركها واقفة بجانب المكتب غير متأكدة مما يحدث حولها وقد ضغطت على يديها وهي تلاحقه بنظراتها حتى خرج من الباب.

والتفت اليها قبل ان يخرج ورفع حاجبه وقال:

«ارجو الا تجدي من الضرورة اخبار جاك او اي احد آخر حول... ترتيبنا».

ومرة اخرى شعرت باحمرار وجنتيها ورفعت رأسها بكبرياء وقالت بعصبية:

«اذا كنت تخشى على سمعتك فيما لو اصطحبت... احدى مستخدماتك فأرجو ان تنسى الموضوع يا سيد جيرارد».

وللحظة ظنت انه سيفقد سيطرته على اعصابه، ولكن بعد لحظة

ابتسم وهز رأسه وقال برقة:

«انت تظلمين نفسك وتظلمينني ايضاً وليس للمرة الاولى. عندي سبب وجيه وراء رغبتي بعدم ذكر اين سنذهب يا لورا. ليس من مانع عندي لو احببت ان تذكري بانك ستمضين امسية معي بالرغم من ان جاك لن يتقبل ذلك».

ووجدت لورا ذلك صحيحاً بالطبع بعد ان راجعت نفسها لدى خروجه.

٧ - زوبعة من أجل دعوة!

لم يكتف جاك بأنه لم يستسغ فكرة قضاء لورا أمسية مع خاله انما، عارض الفكرة بشكل قوي. وحتى السيدة جيرارد لم تعجبها فكرة خروجها مع هوغو لأن هذا يزعج جاك.

وكلاهما اخبراها بما يشعران في اليوم التالي في المساء عندما تركها هوغو لانجاز بعض الأعمال الخاصة. وكانت طوال النهار تحاول ان تقرر فيما لو تخبر جاك أم لا، ولكنها ادركت انه لا بد سيعرف وليس هناك من طريقة تتجنب فيها ذلك، وما من سبب في الواقع لشعورها بالذنب.

وبدت على جاك نظرات التعاسة وأصر قائلاً:

«ولكن لماذا وافقت على الذهاب معه يا عزيزتي؟».

كانا يجلسان معاً على احدى الارائك في تلك الغرفة الجميلة التي احبتها لورا، ولاحظت ان السيدة جيرارد كانت تراقبها منتظرة جواباً منها.

لو ان هوغو بقي وحضر جلسة الاستجواب، ولكن بالطبع فما من احد يناقش تصرفات هوغو وبالتالي لما كان هناك من استجواب لو بقي هوغو.

كان من الصعب ايجاد الجواب الصحيح، وبلا شك فترددها اعطى المستمعين انطباعاً خاطئاً.

الحقيقة انها كانت تتوق لأمسية مع هوغو، ولكن لا يمكنها ان تقول ذلك بدون ان يسيئا فهمها. وكان من الحماقة ان تتشوق للأمسية بسعادة لانها ربما قادتها للمشاكل لو تركت نفسها تتورط مع رجل كهوغو جيرارد.

وسألتها السيدة جيرارد بلطف:

«ألم يكن عندك خيار يا صغيرتي؟».

ونظرت اليها لورا بسرعة واكدت لها قائلة:

«بالطبع كان عندي خيار».

ونظرة واحدة الى جاك افهمتها انه غير مقتنع وسألها:

«اذن، لماذا قبلت الذهاب معه يا حبيبتي؟».

ولمعرفتها المسبقة بجاك فكان بمقدورها ان تميز التجهم على وجهه الذي يبدو واضحاً عندما يفشل في تسيير أمر على هواه. وتنفست لورا بعمق محاولة افهامه وجهة نظرها بالرغم من تشككها في انها مناقشة ضائعة.

وتذكرت لورا كيف فوجئت بالدعوة وقالت:

«أظن انني في الحقيقة لم افكر. فقد دعاني السيد جيرارد لاخرج معه وانا قبلت الدعوة».

وشعت عينا جاك بالغضب وقال:

«ليس عندك اي حق، لم لا... يا الهي عرفت ان هذا سيحدث... كان يجب ان لا ارسلك الى هنا يا لورا، كان يجب ان اتركك في انكلترا حيث لا يمكنه ان يراك، حيث كان بامكاني العودة لاجدك. يا لي من احمق، كان يجب ان اعرف».

ووضعت السيدة جيرارد يدها على ذراعه متعاطفة معه وتمتمت بقولها:

«عزيزي جاك».

ولكن جاك لم يكن في مزاج عادي، ولم تكن لورا مستعدة لأن تقلب دعوة بسيطة الى مصيبة كبيرة.

وأجابته لورا، في حين ان جاك هز رأسه لتعاطف جدته، قائلة:

«انا خارجة لقضاء امسية مع مديري، ولست مقدمة على عمل مشين معه، ومن الحماقة تعظيم الأمر الى هذا الحد».

ونظرت اليها السيدة جيرارد لائمة، في حين ان جاك تقبل كلامها بشكل افضل ولكنه حدق بها باستغراب وامسك بيديها وقبل راحتيها، وسألها:

«هل انا حقاً احمق يا حبيبتي؟».

وابتسمت لورا وقالت:

«اذا كنت تتخيل بأن خالك ينظر الي على اني اكثر من موظفة مكتبة شابة فأنت احمق».

وحملق في وجهها للحظات وقال:

«لا افهم لماذا طلب منك الخروج معه فجأة يا عزيزتي».

وابتسمت قائلة:

«في الحقيقة، انا لا اعلم يا جاك. فقد كان غامضاً حول ذلك».

«أحقاً ذلك؟».

ونظر الى جدته علها تعرف الجواب، وادركت لورا ان المرأة العجوز ما زالت تراقبها، مترقبة لأي شيء قد يزعج جاك. وسألها جاك:

«ولكن لماذا لم يخبرك الى اين سيصطحبك؟».

وهزت لورا كتفيها وقالت:

«في الحقيقة لا اعرف...».

وعلقت السيدة جيرارد بهدوء قائلة:

«انها ليست من عادة هوغو ان يكون غامضاً في مثل هذه الأمور.

ولا اعلم لماذا يتصرف بهذه الطريقة الغريبة. صحيح ان ابني له اخطاء كثيرة ولكنه رجل صريح».

وقالت لورا:

«انه لم يخبرني».

وتمنت لو انها كانت قادرة على ان تخبرهما على الأقل انه سيصطحبها لسماع بعض الموسيقى ولكن هوغو اصر عليها الا تذكر شيئاً لهما اكثر من انها ستخرج معه. وفي الواقع انه صعّب عليها الأمور ولم تكن قادرة على معرفة لو كان يهتم فعلاً بألا يعرفا.

ولوى جاك وجهه وسألها:

«ومتى ستكون تلك الأمسية؟ هل تعرفين ذلك على الأقل يا حبيبتي؟».

واعترفت لورا بقولها:

«ليس تماماً. اعرف انها احدى الامسيات في الاسبوع القادم على ما اظن».

وحدق بها جاك باستغراق وقال:

«انت لم تعرفي الى اين او متى ستذهبين معه، ومع ذلك وافقت؟».

ولو فكرت لورا بهذه الطريقة، فإن الامر يبدو غريباً، ولكنها لم يخطر لها شيء الآن، واعترفت بقولها:

«في الواقع لم افكر. سألني السيد جيرارد فيما اذا كنت موافقة، وانا وافقت».

وضيق جاك عينيه لفترة بدون ان ينطق بكلمة وبعدها قال برقة:

«ولماذا؟ انها ليست من عادتك يا عزيزتي».

وضحكت وقالت:

«انت على حق. ولكن ليس هناك من شيء يمكنني فعله الآن،

وعدته بأن اذهب، وسأذهب».

وصرح جاك بحزم:

«وانا سأذهب».

وحملقت لورا فيه وقالت:

«ولكن هذا مستحيل».

«سأذهب وحدي الى مكان ما وربما. . .».

وهز كتفيه بحيث فهمت ما يعني تماماً. وتابع قائلاً:

«وبما ان خالي سيسرق صديقتي مني. فسأقضي الأمسية وحيداً اتساءل فيما اذا كانت نسيتني بوجود هوغو جيرارد العظيم، وانها لن تلاحظ حتى وجودي».

«لا، يا جاك».

لم يكن من الصعب على جاك ان يلحقهما ليعرف اين اصطحبها هوغو، ولكنها لم تستسغ الفكرة على الاطلاق. فاذا وجدهما وانضم اليهما، سيظن هوغو انها هي السبب وانها نكثت بوعدها له.

وسألها جاك:

«انت لا تودين ان تجتمعي بي صدفة مثلاً؟».

وكانت لورا على وشك ان تتركه يعرف كيف ان الفكرة لم ترقها على الاطلاق.

ولكنها هزت كتفيها وابتسمت كأنها لم تهتم كثيراً وقالت:

«اظن ان خالك لن يصدق انها صدفة».

«وهل يهم هذا؟».

واومأت برأسها محاولة الا تريه اهتماماً كبيراً، وقالت بهدوء:

«ولكن هذا لن يروق لي. لا احب فكرة ان اكون ملاحقة، وكأنك لا تثق بي، وتظن بي الظنون. وتظن بانها اكثر بكثير من مجرد امسية عادية مع مديري».

ولم يجبها جاك للحظة ومن ثم طبع قبلة على اصابعها وهز رأسه وبدا عليه الحزن وقال برقة:

«اتمنى ان يثبت لي الزمن انها ليست اكثر من امسية عادية مع مديرك».

وفوجئت لورا عندما قدمت السيدة جيرارد الى المكتبة بعد بضعة ايام، وتطلعت اليها لورا باستغراب لأنه من الواضح ان السيدة جيرارد لم تحضر لمجرد الثرثرة، لأنها تعرف تماماً اراء هوغو بزياراتها اثناء ساعات العمل، وبالرغم من انها على اتفاق مع ابنها، الا انها ستتردد قبل ان تخرق احكامه وقوانينه التي فرضها.

وسألتها السيدة جيرارد قبل ان تدخل الغرفة:

«هل انت وحدك يا عزيزتي؟».

وتطلعت حوالى الغرفة لتتأكد من ان لورا وحدها. ولما اومأت لها لورا بالايجاب وابتسمت دخلت السيدة جيرارد.

وقالت لورا:

«اظن ان السيد جيرارد ذهب الى مكان ما. فقد سمعت صوت سيارته باكراً».

وقالت السيدة جيرارد:

«لم اكن متأكدة فيما لو كان جاك بصحبتك ام لا. ولكن على ما يبدو انه لا يعلم ان هوغو قد ذهب مرة ثانية الى باريس. فهو يذهب الى باريس تكراراً هذه الايام. هذا الابن الخبيث هه؟». وضحكت وابدت صبرها على تصرفات ابنها مهما كانت، وحركت عينيها لتعطي معاني كثيرة لكلامها. لم تعرف لورا ماذا يجب ان تجيب على هذا الكلام، بالرغم من انها ادركت انه ربما كان كلام السيدة جيرارد عن نشاطات هوغو عبارة عن تحذير. وقالت لورا:

«انني لا اعرف اين يذهب السيد جيرارد يا سيدتي».

وهزت السيدة جيرارد كتفيها بمعنى وقالت:

«انا اعرف انه يتردد على باريس كثيراً هذه الايام ولا يمكن للمرء الا ان يتساءل عن سبب هذه الرحلات المتكررة، بالرغم من ان المرء يظن ان الامسية. . .».

ومن ثم هزت كتفيها مرة ثانية وتابعت:

«اتمنى فقط ان يأتي اليوم الذي يجد فيه هوغو زوجة مناسبة ويصبح رجل العائلة لانه اصبح في السادسة والثلاثين من عمره والى الآن لم يجد زوجة وليس عنده اولاد».

وأحست لورا بالخجل نوعاً ما لأن السيدة جيرارد تأتمنها على اسرار العائلة، وقدرت ان هوغو سيغضب لو عرف انه تتم مناقشة اموره الخاصة، ولكنها ابتسمت للسيدة العجوز وقالت:

«انني متأكدة ان هذا سيحدث يوماً ما يا سيدتي».

ووافقت السيدة جيرارد بقولها:

«آه، ولكن متى يا عزيزتي، متى؟».

ولسبب غير معين في ذهن لورا، اكثر من ان تطمئن السيدة العجوز، هزت كتفيها وابتسمت قائلة:

«ومن يعرف؟ ربما قريباً».

وتنبهت السيدة جيرارد وارادت معرفة المزيد، وسألتها:

«هل تظنين ذلك يا لورا؟».

وادركت لورا انها استعجلت بالجواب وجفلت لردة فعل السيدة جيرارد.

وسألتها السيدة جيرارد:

«هل تعرفين شيئاً يا بنيتي؟ هل. . .».

واجابتها لورا بسرعة:

«لا، ابداً، لا اعرف احداً. كنت. . . اتوقع».

وهكذا».

وبدت خيبة الأمل على السيدة العجوز وتنهدت قائلة بعد لحظة:

«حسناً اذن يا عزيزتي، بينما هوغو غائب يمكننا ان نتكلم بأمان، اليس كذلك؟».

واختيارها للكلمات روّع لورا وقالت:

«انا لا افهم».

وابتسمت السيدة جيرارد واتجهت لتجلس على احدى الارائك بقرب لورا وقالت:

«يمكننا ان نتكلم بدون ان يغضب هوغو».

وجلست لورا على حرف الكرسي وشعرت بيديها ترتجفان، وتوقعت ان السيدة جيرارد كانت على وشك القاء محاضرة لتثنيها عن الخروج مع هوغو، واستغربت لأنها احست انها على استعداد للنقاش وقالت:

«لا اعلم عماذا تريدين ان تكلميني. هل اخطأت بشيء؟».

وربتت السيدة جيرارد على ذراعها وقالت:

«لا، لست انت يا لورا، ولا تحزني يا بنيتي، انا لست غاضبة منك. ولكنني غاضبة من هوغو الذي وضعك بموقف يصعب عليك الرفض».

«سيدتي!».

وحاولت السيدة جيرارد أن تشرح لها قائلة:

«أعني لا يمكنك ان ترفضي الذهاب معه».

اذن كانت لورا على حق، فالسيدة جيرارد تود التحدث عن امسيتها التي ستقضيها مع هوغو، وتنهدت لورا، فلا بد ان جاك قد اشتكى لجدته بشدة حول هذا الموضوع والسيدة العجوز تشعر ان من واجبها ان تفعل شيئاً.

وترددت لورا في الجواب، فهي لا تريد ان تعطي السيدة جيرارد الانطباع الخاطىء، وفي الوقت ذاته لا تريد ان تثنيها السيدة جيرارد عن خروجها مع هوغو لانها كانت تتطلع لتلك الأمسية، واخيراً قالت:

«سيدتي، لم يضعني السيد جيرارد بموقف بحيث لا استطيع الرفض تماماً كما شرحت لك ولجاك، لقد دعاني السيد جيرارد لأذهب معه في احدى الامسيات وانا قبلت الدعوة».

واستغربت السيدة جيرارد اصرارها، وتوقعت لورا ان قناعة جاك بأنها غير راغبة في الخروج هو الذي اعطى السيدة جيرارد ذلك الانطباع.

وسألتها السيدة جيرارد:

«اذن فأنت ترغبين بالذهاب؟».

وأومأت لورا بالايجاب.

وهزت السيدة جيرارد رأسها وكأن الأمور خارجة عن يدها وتابعت قائلة:

«وبالرغم من انك تعرفين ان ابني يكبرك كثيراً في العمر وانه واسع التجربة؟ هل تفهمين؟».

واحمر وجه لورا خجلاً واومأت برأسها وقالت بهدوء:

«انا افهم يا سيدتي. واقدر خوفك علي، ولكنه ليس ضرورياً. فليس هناك من شيء مما تفكرين به على الاطلاق. انا اعمل عند السيد جيرارد وطلب مني الخروج معه في احدى الامسيات وهذا كل شيء، وليس هناك اي معنى اخر للدعوة ابداً».

وصمتت السيدة جيرارد وهي تحدق بلورا للحظات واخيراً هزت رأسها وقالت:

«وهل نسيت يا بنيتي اني رأيتكما معاً في هذه الغرفة في احد

الأيام؟».

وفي الحقيقة ان لورا نسيت ما حدث بينهما عندما انقذها من الوقوع، وعندما كانت غاضبة منه وصفعته على وجهه. ولم تنبس ببنت شفة، وهزت رأسها وقالت:

«كانت تلك غلطتي. انا اثرت السيد جيرارد حتى انه غضب مني وفقد سيطرته على اعصابه للحظات. ولكن ذلك لم يعن شيئاً اكثر من ذلك».

واجابتها السيدة جيرارد قائلة:

«يا له من غضب خطر يا بنيتي، فاذا كان بامكانك اغضاب ابني بهذه الطريقة فعلاقتكما ليست علاقة عمل بحتة كما حاولت ان تشرحي لي».

«ولكن يا سيدتي...».

ووضعت السيدة جيرارد يدها على ذراع لورا بلطف وقالت:

«عزيزتي لورا، انا اعرف ابني، فيجب ان تنتبهي، وايضاً ان تفكري بجاك احياناً، اليس كذلك؟».

وفكرت لورا بصعوبة شرح هذه النقطة وتساءلت فيما لو كان جاك قد اخبر جدته برفض لورا لعرض الزواج، وعلى ما يبدو انه لم يخبرها، وقالت:

«لقد طلب جاك الزواج مني. هل عرفت بذلك؟».

ونظرت اليها السيدة جيرارد وكأن شكاً قد تأكد لها وقالت:

«وأنت رفضته؟».

وأجابتها لورا بلطف:

«كان يجب ان افعل ذلك. فلم اجد من المعقول ان اتصرف بغير ذلك».

وسألتها السيدة جيرارد:

«الا تحبين جاك؟».

ووجدت من الصعوبة بمكان ان تهز رأسها بالنفي ولكنها فعلت وقالت:

«انا اعزه كثيراً ولكنني لا احبه، انا آسفة يا سيدتي».

وأجابتها السيدة جيرارد بهدوء:

«يجب ان تشعري بالشفقة على جاك يا بنيتي».

ومن ثم ربتت على كتف لورا وتابعت:

«انت صادقة وشريفة يا لورا. ان أي فتاة شابة في مكانك كانت استغلت الموقف، ووجدت جاك صيداً ثميناً».

وقالت لورا:

«هذا صحيح. ولكنني لم استطع التظاهر بشيء غير موجود وخاصة ان جاك لطيف، وكذلك اظن بأنه سيتبع خطوات خاله في معظم الأمور. وانا على يقين انك توافقين يا سيدتي ان الزوجة في مثل هذه الظروف ستكون عائقاً في طريقه».

فأمسكت السيدة جيرارد بيدي لورا وقالت:

«عزيزتي لورا. كم كنت اتمنى ان تصبحي فرداً من العائلة، لأنك انسانة بكل معنى الكلمة. اذا لم يكن جاك، فربما...».

ومن ثم هزت بكتفيها وتابعت:

«ولكن لا. يجب ان تبقي معنا اطول فترة ممكنة».

ووعدتها لورا بقولها:

«سأبقى».

وتساءلت كم من الوقت يمكنها ان تطيل فترة عملها على مجموعة هوغو.

وفي صباح اليوم التالي، وبعد ان خرج هوغو من القلعة، دخل جاك الى المكتبة، ولم تكن لورا مشجعة له على الاطلاق، فقالت:

«جاك لا يمكنك ان...».

وقاطعها مسرعاً قبل ان تتم جملتها ودخل بسرعة وطبع قبلة على جبينها وقال مبتسماً:

«هوغو ليس موجوداً. فنحن بأمان يا حبيبتي».

وابتسمت لورا واصرت قائلة:

«انا اعمل. وانت تعرف كم يغضب هوغو اذا دخلت انت بينما انا مشغولة».

وقال جاك:

«ولكنه لن يعرف. فجدتي تظن انه ذهب الى باريس مرة ثانية. فهو كما يقولون مشغول بأمور اخرى، اليس كذلك؟».

واجابته لورا بقولها:

«انت لا تعرف أين هو او ماذا يفعل».

واستغربت حدة صوتها وكأنها لم ترض عن تفسيره الضمني لزيارات هوغو لباريس.

ونظر اليها جاك بتعجب للهجتها ايضاً ورفع حاجبيه وقال:

«يمكننا ان نحزر. فمع هوغو ليس من الصعب ان يقدر المرء بأن هناك سيدة ما يوليها اهتمامه الكلي».

وهزت لورا كتفيها وابتسمت قائلة:

«ليس اهتماماً كلياً».

وتابعت مفسرة نظرات جاك المستغربة:

«لأنه سيصطحبني في احدى امسيات الاسبوع المقبل».

وعبس جاك واخذ يدها ووضعها فوق صدره وقال:

«اخبرتني جدتي انك لم تغيري رأيك بالذهاب معه».

ونظرت اليه لورا باستغراب وسألته برقة:

«وهل توقعتني ان اغير رأيي؟».

فامسكها بقوة وقال:

«انت لا تريدين فعلاً الذهاب مع هوغو اليس كذلك؟».

واحمر وجهها، واصطرعت في داخلها مختلف المشاعر وقالت:

«لا اعلم لماذا انت والسيدة جيرارد متأكدان بأني مجبرة على الخروج معه؟ انا قبلت الدعوة للخروج مع مديري، وكانت الصدفة انه رجل مشهور، ولا اعلم لماذا تحاولان بشتى الوسائل منعي عن الذهاب؟».

ونظر اليها وقد بدا عليه الارتباك لضيقها الظاهر وقال:

«عزيزتي، انت تعرفين اي نوع من الرجال هو هوغو. فكيف تزمعين الذهاب معه بكل ارادتك؟ وبكلمات اخرى كيف تسيرين الى المسلخ بارادتك؟».

وفكرت لورا وقد بدا عليها الغضب من اصراره وقالت:

«لا احد يقودني الى المسلخ كما تظن. انا ذاهبة لاستمع لبعض الموسيقى بصحبته، هذا كل شيء».

«موسيقى؟».

وعضت لورا على شفتها لادراكها انها افصحت باشياء لا يريدها هوغو ان تخبر احداً بها، وبدا من الصعب عليها الآن اقناع جاك، ان هذا كل ما تعرفه. وقالت:

«هذا كل ما اعرفه».

وقال برقة:

«هكذا اذن، ستذهبان للاستماع للموسيقى؟».

وهز رأسه وتابع قائلاً:

«هذا شيء غريب على هوغو، انه تبديل ملحوظ يا حبيبتي. ولم استسغه».

وعبست لورا قائلة:

«لا افهم ماذا تعني؟».

وبدا قلبها يخفق بشدة فلم يعجبها تعليق جاك على اختيار هوغو وتابعت مستفهمة:

«ماذا... ايجب الا تذهب للاستماع الى الموسيقى؟ آلاف الناس يفعلون ذلك».

واجابها جاك مؤكداً:

«ليس هوغو... وليس مع امرأة. هوغو يحب الموسيقى ولكنه لن يصطحب ما يلهيه عن سماع الاوبرا او حفلة موسيقية. فهو لن يذهب ومعه امرأة يا حبيبتي. اترين لماذا انا مستغرب؟».

وترددت لورا وسألته غير متأكدة من انه شرح لها الأمر وقالت:

«ولكن... لا اعلم كيف انك متأكد الى هذا الحد فأنت لا تلحق به في كل مرة يخرج فيها فكيف لك ان تعرف ذلك؟».

واجابها في الحال:

«من كلماته. ولكن ربما انت خاصة جداً يا حبيبتي، اليس كذلك؟».

واجابته بسرعة قائلة:

«ليس بالنسبة الى خالك».

وابتسم جاك وقال:

«كان بامكاني ان اعارض خروجك معه. ولكنني... يا الهي، اشعر وكأني طالب مدرسة عندما يفقد اعصابه».

الصراحة في كلمات جاك وتصريحه بخوفه من خاله، بدت لها شيئاً مضحكاً لانها ظنت في البداية انه يحترمه اكثر من ان يخافه، وقالت وهي تضحك:

«اذن، لا تثر غضبه، فأنا ربما سأعاني ايضاً من غضبه، وانا في غنى عن ذلك».

وطبع قبلة على جبينها وهمس قائلاً:
«تبدين جميلة عندما تضحكين. هل انت متأكدة انك لا تودين القدوم معي في رحلتي يا حبيبتي؟ سأفتقدك كثيراً».
واجابته لورا بصدق قائلة:
«وانا سأفتقدك. ولكنني لن استطيع القدوم معك، وفي النتيجة ستشكرني على ذلك».
«اذن فسأخرج مع كل امرأة اصادفها في رحلتي. فما رأيك؟ سأصبح شيطاناً اكثر من هوغو وسترين ذلك».
وشعرت برغبة بأن توافقه وتذهب معه. ولكنها كانت على يقين بأنه ليس الرجل المناسب لها بالرغم من انها مغرمة به، وستفتقده الى حد كبير، وقالت:
«جاك سأفتقدك كثيراً».
ووجدت نفسها تقارنه بخاله وبأنه لا بد ان يكون خليفة له في كل اعماله.

وشهقت لورا عندما انفتح باب المكتبة وصفق بقوة هزت الغرفة، وابتعد جاك عنها. استدارت وكان يجب ان تدرك من كان بالباب وقد وضع يديه على خصره ونظر اليهما بغضب. وتفاجأت بردة فعله تماماً كما تفاجأت بصفق الباب، ووضعت يدها على فمها لتكتم شهقة خرجت لا ارادية واخذ قلبها يدق بلا هوادة. فلا بد ان هوغو لم يذهب الى باريس، وعلى ما يبدو من وجهه انه كان ينوي شراً. وتطاير الشرر من عينيه ووجهه، ولم تفهم لورا ما قاله بالفرنسية، ولكن على ما يبدو من ردة فعل جاك ان كلماته كانت قاسية. ومن ثم نظر الى لورا ببرود وتفحصها من رأسها الى قدمها. واحمر وجهها عندما قال لها بقسوة:
«هناك قول يا آنسة أليس كذلك؟: عندما يغيب القط، يلعب

الفأر».
وبدا عليها الغضب واجابته بكبرياء:
«ليس لك حق...».
ورفع يده واقترب قليلاً ليسكتها فقط ولكنها ادركت متأخرة. لأنها شهقت وابتعدت خطوة للوراء مما ادهشه وادهش جاك.
واخفض هوغو يده. بينما تقدم جاك ووضع يده حول كتفيها وهمس في اذنها:
«ارجوك ان تبكي. بحق الله ابكي».
وقال لخاله:
«ليس هناك من حاجة لأن تلوم لورا. فأنا الذي دخلت الى المكتبة، وهذه غلطتي».
واجابه هوغو بحزم:
«لا تخف يا شجاع، فأنا اعرف من ألوم، ولكن الآنسة لم تكن تحتج على تصرفاتك عندما دخلت انا».
وقالت لورا:
«ارجوك لا تحاول ان تكون...».
ورفع هوغو يده مرة ثانية ليوقفها عن الكلام وقال:
«انا ادفع لك راتباً لتعملي يا آنسة. ولن اقبل ان تستغلي فرصة غيابي لتجتمعي سراً بحبيبك».
واجابته لورا باكية:
«ليس لك حق ان تتكلم معي بهذه الطريقة. ليس لك حق على الاطلاق. وهذا غير صحيح».
واجابها ببرود:
«انا رأيت بعيني يا آنسة. لي كل الحق ان اعترض على تصرفك. فبالاضافة الى اني رئيس عملك فهذا بيتي واعمل ما يعجبني هنا».

واستغربت لورا ردة فعله المبالغ بها على شيء صغير في حين انه انتقد هنري ستودارد عندما طردها من عملها. ولكنها لم تكن قادرة على ان تجد مبرراً لتصرفه. وحاول جاك التدخل قائلاً:

«هوغو انها...».

ورفع هوغو يده مسكتاً اياه وقال:

«بامكانك ان تتصرف كما تشاء خارج ساعات عمل الآنسة كولتون».

ورمق لورا بنظرة ثانية، مما سبب لها تقلصات في معدتها، وقال لها:

«بامكانك ان تلهي مع اي كان يا آنسة ولكن ليس اثناء العمل. اهذا مفهوم؟».

ولم يكن هنا من حاجة لتتظاهر بالبكاء لأن الدموع اخذت تنهمر بدون ارادتها وقالت:

«نعم، بالطبع يا سيد».

ونظر اليه جاك بعينين مستعطفتين. بينما تابع هوغو قائلاً ببرود:

«اذا كنت لا تحترمين قوانيني فيجب ان تتركي العمل. الخيار لك يا آنسة والأمر سهل جداً».

«هل ستطردني؟».

وربما كان كلامها ساذجاً في تلك الظروف، وبالطبع كان سيطردها اذا لم تطع قوانينه. وفكرت لورا انه في حالته تلك، كان قادراً على فعل اي شيء.

وانهمرت الدموع من عينيها اكثر.

وكان جاك يضغط على ذراعيها بشدة بحيث ادركت انه ظن انها تمثل البكاء لتخفف من غضب خاله في حين انها كانت منزعجة لأن الموقف خرج من يدها. فقد توقعت غضب هوغو فيما لو وجد جاك

معها، ولكن ليس بهذه الطريقة.

ولاحظ هوغو فجأة انها تبكي ونظر اليها باستنكار وقال:

«لورا، ارجوك لا تبكي».

وتقدم منها وامسك بذراعها بلطف في حين انها كانت تقف بقرب جاك الذي كان يحاول تهدئتها وقال لها جاك:

«اسكتي يا عزيزتي. هذا كاف، لا تبكي اكثر».

واجابته بصوت مرتجف:

«يا ليتني لم ابك. ويا ليتك لم تأت الى هنا. ولا اعلم لماذا ابكي بهذه الطريقة. يا ليتني...».

وقال هوغو بصوت هادىء نوعاً ما:

«ليس هناك من حاجة للانزعاج بهذا الشكل. فأنا فقدت اعصابي».

ورفع ذقنها بيده وابتسم متجاهلاً جاك، وكأنهما وحيدان. وذكرها بقوله برقة:

«لقد تحملت غضبي قبل ذلك».

وضمها جاك اليه وقال:

«وأنا آسف ايضاً يا عزيزتي. فلو لم آت لرؤيتك لما كنت انزعجت هكذا».

واستدار هوغو متجهاً نحو المكتب وقال ببرود:

«لقد اضعت لنا الكثير من الوقت يا جاك. يجب ان تترك لورا الآن لتعود الى عملها».

«بالطبع».

واقترب جاك هامساً في اذن لورا وقال:

«لقد اجدت التمثيل يا حبيبتي. فهوغو لا يتحمل رؤية امرأة تبكي وخاصة انه مغرم بك. فبإمكانه ان يكون قاسياً مع بعض النساء، ولكن...».

ونادى عليه هوغو بحزم:

«جاك».

فابتعد جاك عنها بسرعة ولم يتسنَّ لها ان تشرح له ان دموعها كانت صادقة.

وخرج جاك من الغرفة قائلاً:

«الى اللقاء يا عزيزتي سأراك فيما بعد».

ونادى هوغو على جاك بحدة قائلاً:

«اذهب».

وخرج جاك بسرعة واتجه نحو الغرفة حيث وجد جدته. ونظر هوغو الى لورا ورفع حاجبه وسألها بهدوء:

«هل انت بخير الآن يا لورا».

وأومأت برأسها، بينما قلبها يخفق بشدة لمواجهته على انفراد وقالت:

«نعم، شكراً لك يا سيد جيرارد».

وجلس هوغو على حافة المكتب يهز باحدى ساقيه، بينما اتجهت لورا الى المقعد لتتابع عملها ولما اقتربت منه اوقفها بيده ومسح دموعها وقال:

«هل ازعجتك يا صغيرتي؟».

ولم تجبه للحظات، فقد كان من الصعب عليها السيطرة على مشاعرها ويديها المرتجفتين، وقالت اخيراً بصوت متحشرج:

«لا ، يا سيدي».

«ولكنني جعلتك تبكين».

ونظرت اليه واجابته بسرعة:

«هذه، سخافة مني».

ومن ثم ابعدت نظرها عنه عندما لاحظت اللطف في عينيه.

هوغو جيرارد كان لغزاً يصعب حله، ولكنها ارادت ان تحاول، وقالت بصوتها المرتجف:

«اظن اني كنت اشعر بالذنب بعض الشيء لأنك ضبطتني بالجرم المشهود».

واجابها هو قائلاً:

«كان يجب الا الومك».

وضحك ونهض واقفاً وتابع قائلاً:

«ويجب الا انكر على جاك ما تبقى له من الوقت معك، فهو سيسافر قريباً، ولن يبقى هناك لقاءات سرية في المكتبة عندما اكون غائباً، اليس كذلك؟».

ورفع ذقنها بلطف وحدق بها للحظات بصمت وسألها برقة:

«هل تشعرين بالحزن عندما تفكرين برحيل جاك؟».

واومأت برأسها قائلة:

«سافتقده كثيراً، ولكنني لست حزينة للأسباب التي تظن بها يا سيد جيرارد».

وسألها بقوله:

«وما هي تلك الأسباب؟».

وترددت لورا في الجواب وتمنت لو انه لم يكن يقربها وقالت:

«انت... انت تظن، انني احب جاك».

وهز رأسه حتى قبل ان تنهي كلامها. ونظرت اليه باستغراب، في حين انه قال بهدوء وثقة:

«انا اعرف انك لا تحبين جاك. ولكنني لست متأكداً من جاك، ولهذا سأكون سعيداً عندما يسافر».

ولم يعجبها المعنى الذي توصلت اليه من كلماته وقالت لائمة:

«وبهذا يصبح في مأمن من الاغراء؟».

وهز رأسه وقال برقة:

«لا يا صغيرتي. ولكن انت ستصبحين في مأمن من أن يقنعك بالاقدام على امر ستندمين عليه فيما بعد».

٨ - وتبلل وجه القمر

لم تكن لورا في صباح اليوم التالي قادرة على التركيز في عملها، واستغربت كثرة تفكيرها بموضوع خروجها مع هوغو.

لم تره كثيراً الا اثناء وجبات الطعام، وعلمت من جاك انه ذهب مرة ثانية الى باريس فلم يعجبها ذلك على الاطلاق.

واطل برأسه في صباح اليوم التالي من باب المكتبة وسألها:

«هل نسيت انك ستذهبين معي الليلة الى المدينة؟».

وهزت برأسها بالنفي وقالت:

«لا يا سيد جيرارد لم انسَ».

«جيد».

وقبل ان تتمكن من قول اي شيء آخر غادر الغرفة وتركها حائرة فيما يجب ان ترتدي فلم يسبق لها ان قضت امسية قبل ذلك في باريس، وشعرت باثارة الموضوع بينما كانت ترتدي ثيابها.

ووقع اختيارها على الفستان «الشيفون» الاصفر واقتنعت لدى ارتدائه.

بدأت بتحضير نفسها باكراً وفكرت كثيراً بعقص شعرها ولكنها في النتيجة قررت ان تتركه منسدلاً على كتفيها. وبدت اصغر من عمرها. وحملت حقيبة يدها ونظرت بسرعة في المرآة قبل ان تخرج، واخذت تتخيل نفسها ممثلة كبيرة او شخصية هامة وهي تنزل

درجات القاعة الضخمة، فقد احست بأنها تسبح فوق النجوم.

ولاحظت ان هوغو كان يتكلم مع السيدة روسو في القاعة، وتسارعت خفقات قلبها. ولما وصلت الى منتصف السلم، نظر اليها وابتسم، وكذلك السيدة روسو.

وتقدم هوغو منها وشعرت باحمرار وجنتيها عندما امسك بيدها وتفحصها بعين الموافقة من رأسها الى اخمص قدميها.

ولم يسبق لها في حياتها ان انتظرت موافقة ورضى انسان عن مظهرها كما كانت في ذلك اليوم. وحاولت السيطرة على صوتها المضطرب قدر المستطاع عندما سألته:

«هل تراني مناسبة للخروج معك؟».

واومأ برأسه وقال ببرود:

«نعم . . مناسبة».

وكان يرتدي بزة سهرة رسمية وفكرت لورا - كم كان مختلفاً. وكانت البذلة تناسبه الى حد كبير. وبالتأكيد كان السيد جيرارد في تلك الامسية الكاتب والشخصية المعروفة، وشعرت بالرهبة بعض الشيء لفكرة الخروج معه.

فقد اعطاه قميصه المزركش شكلاً رومانطيقياً في حين ان بزته السوداء اعطته طابعاً جدياً.

وقامت بحركة مبهمة بيدها وقالت:

«اذا كنت تظن ان ثوبي . . .».

ولكنه هز رأسه بالنفي مبتسماً. وتابعت هي قائلة:

«الا تظن اني يجب ان ابدله؟».

واجابها مبتسماً مرة ثانية:

«لا، بالطبع لا. فانت تبدين صبية صغيرة، ولكن كبريائي لا تمنعني من الخروج معك خوفاً على سمعتي على ما اظن».

وقطبت حاجبيها ونظرت اليه لائمة وقالت:

«اتمنى عدم معاملتي كأبنة اخيك المدللة يا سيد جيرارد».

ورفع حاجبيه وسألها متحدياً برقة:

«وكيف تريدينني ان اعاملك يا آنسة؟».

وادركت لورا بانها استعجلت الامور واعطته انطباعاً خاطئاً فاحمر وجهها وقالت:

«انا آسفة، ما كان يجب ان اقول ذلك».

واجابها قائلاً:

«بالطبع، فقد كان هذا نوعاً من الاستشارة. خاصة انني اقسمت اليمين لجاك على ان اتصرف بشكل جيد معك».

«يا الهي، لا».

ووضعت يديها على وجنتيها المشتعلتين وتمنت لو انشقت الارض وابتلعتها عندما لاحظت السرور في عينيه. كان يجب ان تعرف ان جاك لا بد ان يحذر خاله. وقال هوغو:

«جاك لا يستسيغ فكرة اصطحابي لك الى اي مكان».

ولم يبد عليه انه كان آبهاً بموافقة ابن اخته، وتابع قائلاً:

«والحقيقة ان عدم معرفته ومعرفتك للمكان الذي سنذهب اليه لا يروق له على الاطلاق».

ولم تعرف ما هي الكلمات المناسبة لتجيبه، فقالت:

«انا آسفة اذا كان قد عظّم الموضوع الى حد كبير. جاك لا يستسيغ خروجي معك على الاطلاق، وعنده فكرة خاطئة عن الموضوع. اعني . . .».

وتابعت قائلة:

«انه يظن ان هناك . . .».

واجابها بهدوء قائلاً:

«اعتاد جاك على سمعة معينة عرفت عني. ولا الومه على شعوره، ولكن عدم موافقته لن تمنعني من التمتع بأمسيتي معك. ويجب عليك ان تفعلي الشيء نفسه يا بنيتي».

ووقفت لورا ونظرتها تشع بالتصميم، واحمر وجهها ورفعت رأسها بكبرياء وقالت بحزم:

«انا لن اتحرك من هنا حتى تعدني بألا تناديني ببنيتي وطفلتي يا سيد جيرارد، وانا اعني ما اقول».

وضحك، مما سبب لها اضطراباً في خفقات قلبها لانها ظنت انه على وشك السخرية منها، ولكنه هز رأسه ووضع يده على صدره واقسم قائلاً:

«اعدك بأني لن افعل ذلك مرة ثانية يا آنسة».

ومن ثم امسك بيدها اليسرى وقبلها وقال برقة:

«هل نذهب؟».

واومأت برأسها غير قادرة على ايجاد الكلمات المناسبة.

واصطحبها اولاً الى العشاء في احد المطاعم الفرنسية الفاخرة مما سرّها الى حدّ فاق التصور، فالمطعم ووجبة الطعام والموائد كانت فاخرة ولم يسبق لها ان رأت مثله. وكان يصعب عليها الاختيار لنفسها ولذلك تركت الخيار لهوغو.

كانت الوجبة رائعة وبالتالي انهمكت لورا بالاستمتاع بوجبتها ولم تحاول التظاهر بغير ذلك.

ولاحظت ان هوغو استمتع لكونها مستمتعة بوجبتها، فكم من مرة رفعت رأسها ورأته يحدق بها بسرور، وسألها برقة:

«انت مستمتعة بالوجبة، اليس كذلك يا لورا؟».

واومأت رأسها وقالت:

«انها وجبة رائعة، شكراً لك يا سيد جيرارد».

ولوى وجهه ومن ثم اشعل سيكارته مما اخفى تعابير وجهه خلف دخان السيكارة وقال:

«لقد حافظت على كلمتي بالا اناديك «بطفلة» اليس كذلك؟ اظن انه من المناسب اكثر ان تناديني باسمي بدلاً من كلمة السيد الرسمية».

وعضت على شفتها وقالت:

«لم اعرف... لم اكن متأكدة فيما لو اردتني ان افعل ذلك».

ورفع حاجبه وسألها:

«ولم لا؟».

وهزت كتفيها واعترفت قائلة:

«لا اعرف. بما انني اعمل عندك فانت رئيس عملي».

وبدت الضحكة على فمه لتفسيرها وسألها:

«وهل يمانع المدراء الانكليز ان يناديهم موظفوهم باسمائهم المجردة؟».

وشعرت بتغير كامل في شخصيته وقالت:

«هذا... يعتمد على امور مختلفة».

واجابها بجدية بالرغم من اثر الضحكة على وجهه قائلاً:

«آه فهمت، ولكن على ماذا يعتمد؟».

وحاولت ايجاد الكلمات المناسبة للحظات ومن ثم قالت:

«انت تعرف ماذا اعني».

وضحك بصوت مرتفع وقال:

«يعتمد الامر على فيما اذا كان المدير يجلس موظفته على ركبته يا عزيزتي؟».

ومن ثم هز رأسه وتابع قائلاً:

«وفي هذه الحالة فانا ينطبق علي الشرط اليس كذلك؟».

«سيد جيرارد. . .».
وضحك وكان ما يزال يهز رأسه وقال برقة:
«ابتسمي يا لورا. انا احاول اغاظتك فقط».
وحاولت جاهدة ان تسيطر على نفسها وخفقات قلبها الوحشية عندما قالت:
«سيد. . . هوغو، انت تضحك علي».
وهز رأسه بالنفي وقال:
«لا ايتها الفتاة الجميلة».
ولم تكن من عادة هوغو ان يزخرف كلامه بجمل كهذه كما كان يفعل جاك، ولذلك بدا ذلك غريباً عليه.
واحست لورا وكأنهما وحيدان في مكان ما، ولطالما احست بهذا الشعور معه، الشيء الذي لم يسبق لها ان خبرته مع انسان آخر.
واحست بنوع من الصلة الغريبة بينهما وقالت له اخيراً:
«هوغو، الى اين ستصطحبني؟».
وبدت عليه الجدية اكثر بشكل مفاجىء، وكأنه يفكر بامر ما يشغله وقال برقة:
«عندما تكونين جاهزة للذهاب يا عزيزتي، سوف نذهب وعندها ستكتشفين».
وعندما خرجا كان الطقس دافئاً ولكنها احست بتهديد المطر في الجو، في حين انها لا ترتدي الا فستانها. ومع ذلك فلم تهتم لعدم ارتدائها اي معطف ولم تبال فيما لو ابتلت. وسألته عندما تركا المطعم:
«ستمشي، اليس كذلك؟».
ونظر اليها مستفهماً وقال:
«سأذهب لاحضار السيارة؟».

ولكنها احست من لهجته انه يفضل المشي، فهزت رأسها قائلة:
«افضل المشي».
ووافقها وسارا بصمت في الشوارع المضيئة، والمخازن المزينة، وتجاهلا تهديد المطر.
حتى ضجة حركة المرور ساعدت على اضفاء جو خاص على تلك الامسية.
وتركا الشارع الرئيسي وانعطفا في شارع اقل ازدحاماً وادركت انهما قد وصلا. ووجدت نفسها امام احد المسارح الذي يدعى «اونوريه» ونظرت الى هوغو، واومأ برأسه حتى قبل ان تسأله اي سؤال، وامسك بذراعها بقوة وقادها الى المدخل المضاء. ولدهشة لورا فقد كان هناك عدد لا بأس به من الناس من اصحاب المظهر الجيد ينتظرون الدخول الى ذلك المسرح المتواضع. ونظر هوغو حوله وابتسم وتقدم منهما رجل بدين في منتصف العمر، وصافح هوغو بحماس.
وقدمها هوغو للسيد اونوريه، الذي بادرها بقوله:
«نحن ندين لك يا آنستي العزيزة. يا له من اكتشاف. انه رائع».
وادركت ان هوغو يراقبها منتظراً ردة فعلها. وكانت على وشك ان تسأل هوغو عما يتكلم الرجل، ولكنها استطاعت ان تفهم من اعلان عن امسية موسيقية يقدمها السيد اونوريه بيلير الذي قابلته، والذي جلب انتباهها اخيراً كان عنوان المقطوعة الموسيقية «انشودة الخريف» وبجانبها اسم فيليب جيرارد.
وشعت عيناها بالسرور وقالت:
«هوغو!».
ولم تجد الكلمات المناسبة. وقال هوغو برقة:
«ظننت انك ستودين حضور العرض الاول».

واومأت برأسها محاولة جاهدة الا تبكي. وعلى ما يبدو ان اونوريه بيلير كان صديقاً لهوغو الذي اخبره بقصة اكتشاف الشريط كاملة ولهذا سره هذا اللقاء.

وتأثرت جداً بالجهود التي بذلها هوغو ليوصل موسيقى اخيه للجمهور، ولذا قام بعدة زيارات الى باريس.

وقال هوغو برقة:

«هل ندخل؟».

واومأت برأسها. ودخلا حيث كان المسرح صغيراً ولكنه مليء بالرواد الذين احبوا الموسيقى وساد الصمت الشامل بينما كانت تعزف الموسيقى. ولدهشة لورا فقد احست بالارتباك عندما اعلنوا بداية موسيقى «انشودة الخريف» واحست بتوتر هوغو.

وقام قائد الاوركسترا بقيادة فرقته اثناء عزف الانشودة واحتبست انفاس لورا لدى سماعها الموسيقى والتي بدت جميلة ومؤثرة اكثر بمراحل من يوم سمعتها على شريط التسجيل.

وعندما اتت المقطوعة على نهايتها ساد الصمت للحظة وفجأة بدأ تصفيق الجمهور الحار. واستمر التصفيق لفترة طويلة، ولم تقاوم لورا دموعها التي انهمرت بغزارة على وجنتيها ولكنها امسكت بيد هوغو وشدت عليها مبتسمة وهمست قائلة:

«لقد اعجبتهم».

ولم يجبها للحظة، وبدا شارداً ولا بد انه كان يفكر بأخيه ويتمنى لو كان موجوداً ليسمع التصفيق.

ومن ثم استدار وحدق بها للحظة بصمت وابتسم. ثم اخذ يدها وقبلها وردد كلماتها قائلاً:

«لقد اعجبتهم».

وخرجا من المسرح صامتين وبدأ الجو يميل الى البرودة اكثر وبدأ

المطر بالهطول ومن ثم اشتد بعد لحظات، ونظر هوغو الى السماء ومن ثم الى لورا وسألها:

«الا تبقين هنا في مدخل هذا المبنى وسأذهب انا لاحضر السيارة؟».

وهزت رأسها بالنفي مبتسمة وقالت:

«لا، المطر لا يزعجني».

وابتسم متسائلاً:

«الا تخافين من الابتلال. فلا اريدك ان تمرضي في نهاية امسيتك. فانا على يقين ان جاك لن يستسيغ ذلك».

وكان ذكر جاك بهذه الطريقة مزعجاً لها، ولم تجبه للحظات وسارت الى جانبه متجاهلة ازدياد هطول الامطار وقالت له:

«اذا كنت تود الاسراع فارجو الا تنتظرني، اذهب واحضر السيارة، سأقابلك على الطريق».

وشعر بضيقها بعض الشيء لتغير لهجتها وسألها باستغراب:

«وهل انت غاضبة مني الآن؟».

واجابته لورا قائلة:

«انا لست غاضبة ولكني لا اريدك ان تفسد امسيتي».

وقال برقة:

«وهل التفكير بجاك يفسد امسيتك؟».

ونظرت اليه بوجهها المبلل بقطرات المطر وقالت:

«لا، لا، انت تعرف يا هوغو اني لم اقصد ذلك. لقد استمتعت بأمسيتي الى حد كبير. وانا سعيدة لأنك فعلت شيئاً من اجل موسيقى فيليب».

واجابها قائلاً:

«لم يكن ذلك صعباً. وعلى العكس كان يمكن فعل ذلك منذ

سنوات مضت لو ان احداً اعطى لها اذناً صاغية».

وسألته قائلة:

«انت تعرف السيد بيلير، انه صديقك اليس كذلك؟».

وأومأ برأسه مجيباً:

«اعرفه منذ زمن طويل وكنت اعرف انه الوحيد الذي يمكنه ان يوصل موسيقى فيليب للناس».

وشعرت لورا بالاستغراب لمحادثتها بشكل طبيعي عن فيليب وكأنها عرفته. وهذا دليل آخر على ذلك التفاهم الذي تشعر به مع هوغو.

وسألته قائلة:

«هل ستخبر السيدة جيرارد وجاك عن الموسيقى الآن؟».

«اذا لم تنتظريني هنا بينما اذهب لاحضار السيارة، سأبقى معك هنا».

وبينما كان يتكلم امسك بذراعها ووضعها حول عنقه وامسك بخصرها وهمس قائلاً:

«والآن سيظن المارة اننا احياء».

وهزت رأسها وقالت:

«هوغو..».

واجابها برقة:

«اشعر بخفقات قلبك يا صبية، هل انت خائفة مني؟».

وانكرت قائلة:

«لا، بالطبع انا لست خائفة منك».

وتساءلت فيما لو كانت خائفة فعلاً. ربما انها كانت خائفة، او على الاقل نصف خائفة، مما تقودها اليه ردود افعالها. فلقد كان هوغو جذاباً تماماً كما سمعت عنه. وكان الناس ما زالوا يسرعون في المطر

محاولين الوصول الى غاياتهم فليس لديهم المتسع من الوقت لالقاء اكثر من نظرة عليهما.

وفكرت انه ليس من العدل ان يستغل الموقف بهذه الطريقة وتمنت لو انها وافقت على انتظاره بينما يحضر السيارة.

كانت الطرقات مبتلة وعجلات السيارات تصدر هسيساً لدى مرورها، واحست وكأنهما مختبئان في مكان جاف بعيداً عن هذا العالم مما اربك مشاعرها اكثر.

وقال لها هامساً:

«لو كنا سجناء في هذا المدخل يا صغيرتي، اليس هذا افضل من ان نفترق؟».

وكانت ترتجف وقلبها يخفق ولكنها حاولت السيطرة على اعصابها وقالت:

«هوغو».

ولم تنظر اليه ولكنها تابعت قائلة:

«ارجوك لا تلعب معي».

وسألها باستغراب:

«العب معك؟ انا لا افهمك يا صغيرتي».

وكان من الصعب عليها ان تفسر ما تعنيه في كلمات وكانت على يقين انه لن يفهم معارضتها.

فربما انه لم يجد معارضة من امرأة قبلها، ولكنها كانت تفكر بمشاعرها في تلك اللحظة اكثر من جرح كبريائه. فلا يمكن لها ان تتقبل عواطفه كشيء عابر تنساه بعد لحظات مع نهاية الامسية. فمشاعرها تجاهه كانت اعمق من ذلك.

من المؤكد انه سيعتبر اسبابها سخيفة وينظر لها على انها فتاة سخيفة.

ووضعت ذراعيها على جانبيها ونظرت اليه بحزم وقالت بصوت متحشرج:

«سانتظرك هنا وحدي اذا ذهبت لاحضار السيارة يا سيد جيرارد».

وابتعد عنها ببرود حل محل الدفء، وكان بامكانها ان تتخيل النظرة الباردة في عينيه الرماديتين.

وللغرابة انه ضحك، ونظرت اليه لورا غير مصدقة، وقال:

«يا صغيرتي لورا، ما هي افكارك عني؟».

وشعرت لورا بالارتباك، فقد توقعت كل شيء الا الضحك، حتى الغضب كان متوقعاً اكثر من الضحك. وقالت بصوت عال:

«لا تضحك عليّ».

وهز رأسه وما زال يضحك وسألها قائلاً:

«وهل تريدين ان تسمعك باريس باكملها؟».

واحمرت وجنتاها وشعت عيناها بالغضب، ولكنها اخفضت صوتها قائلة:

«لا يهمني من يسمعني، ولكن كل ما يهمك ان تصغّرني وتشعرني باني سخيفة، اليس كذلك؟».

ولمعت عيناه بخبث وانكر قائلاً:

«انا لم افعل شيئاً يا وردتي، الطبيعة هي التي جعلتك صغيرة، واذا كنت تبدين سخيفة فهذا من فعلك وليس من صنعي».

«وانت... انت».

ولم تسعفها الكلمات وحاولت ان تقاوم رغبتها بان تصفعه ولكنها تذكرت نتيجة المرة السابقة وقالت:

«لا تناديني باسماء سخيفة».

فابتسم قائلاً:

«حسناً، لورا لن اناديك باسماء، فهل هذا يجعلك سعيدة؟».

وادركت انه يحاول اغاظتها ولكنها لم تكن راغبة في الشجار معه.

ولذلك استندت على المدخل وقالت:

«اعتقد أنك تظن باني اعظم الامور».

ولم يجبها للحظة وقد استند الى الجهة الثانية من المدخل. ومن ثم ابتسم بلطف وقال:

«يجب الا اغيظك يا لورا. ولكنني احياناً لا استطيع مقاومة ذلك».

ولم ينبسا بكلمة لبضع دقائق تلت، والمطر ما زال يهطل بغزارة.

وفجأة مدّ هوغو يده وقال برقة:

«هل نجازف ونذهب الى البيت؟».

واعطته يدها بدون تردد واومأت برأسها.

ولما اقتربا من القلعة نظرت اليه وسألته:

«هل ستخبر جاك والسيدة جيرارد اين كنا؟».

وتذكرت بانها سألته مسبقاً ولم يجبها على السؤال. ولكنه قال اخيراً بهدوء:

«ساخبرهما».

وامسك بيدها وشد عليها بلطف ثم تابع كلامه وقال:

«انني سعيد انك اتيت معي لسماع موسيقى فيليب. لانك فهمت ما اشعر به، الم تفهمي؟».

ووافقته برقة:

«نعم فهمت».

وادركت عندها بان جاك لن يفهم لماذا اختارها هوغو من دونهم.

انه شيء خاص لم تجده مع اي انسان آخر غير هوغو جيرارد، وكان يصعب عليها فهمه.

٩ - خسرتك الى الأبد!

لم يكن الوقت متأخراً جداً عندما عادا من الحفلة الموسيقية، ولكن لورا لم تكن راغبة بمواجهة السيدة جيرارد او جاك. كانت امسية جميلة ومثيرة وغريبة ما كانت لتفوتها. وفي الوقت نفسه لم تكن على استعداد للاجابة على اسئلتها المنهمرة. ومن الأفضل ترك شرح الأمر لهوغو، فبإمكانه ان يشرح لها لماذا استثنى العائلة من حضور اول اداء لموسيقى اخيه.

ولذلك تمنت لها ليلة سعيدة وشكرت هوغو بلهجة رسمية، واحتبست انفاسها عندما امسك بيدها وقبلها متمتماً برقة:

«ليلة سعيدة يا عزيزتي».

واستيقظت في اليوم التالي وشعور غريب يخالجها لم تعرف سببه. استحمت وارتدت ثيابها واحست بخفقان شديد في قلبها لدى مغادرتها الغرفة.

«صباح الخير لورا».

واحتبست انفاسها واستدارت لتجد هوغو خلفها. وبدا في اشعة الشمس المشرقة برونزياً طويل القامة. وشعرت لورا بذلك الاحساس الغريب من التقارب وكأنهما منعزلان عن العالم في عالمهما الخاص. وتذكرت اليوم الأول الذي بدأت العمل فيه عندما فاجأها هوغو في الدهليز، وابتسمت قائلة:

«صباح الخير يا سيد جيرارد».

وعبس بعض الشيء لأنه لم يرض عن استعمالها لاسمه الكامل وهز رأسه قائلاً:

«هل عدنا للرسميات يا صغيرتي؟».

وعضت على شفتها لما لذلك الصوت الرخيم من تأثير عليها وقالت:

«ظننت انه ربما خلال ساعات العمل».

«اذن لا تريدينني ان ارفع التكليف معك اليس كذلك؟».

وابتسم مغيظاً اياها ومذكراً بمحادثتهما في الليلة السابقة، وهزت رأسها محاولة بصعوبة السيطرة على تسارع نبضها لتبدو طبيعية وقالت متجاهلة لسؤاله:

«انا اعرف انه لا يهمك، سأناديك باسمك المجرد، فأنا عادة استعمل اسمك المجرد عندما اذكرك».

ورفع حاجبه قائلاً:

«اهذا عندما تتكلمين مع جاك عني؟».

وبدا على لورا الضيق وقالت:

«افهم من كلامك وكأنه لا عمل لي الا الثرثرة عنك، وهذا غير صحيح يا سيدي».

ورفع حاجبه متمتماً تعليقاً على كلمة سيدي.

وابتسمت لأنها لا تود اغضابه وقالت باذعان:

«هوغو».

ونظر اليها بدفء وقال مبتسماً:

«هذا افضل».

وسألها برقة:

«استمتعت بأمسية البارحة، اليس كذلك، يا صغيرتي؟».

واومأت لورا وأكدت له قائلة:

«لقد استمتعت بها بشكل لا حد له. كان مثيراً جداً ان استمع لموسيقى فيليب، تعزفها اوركسترا حقيقية وخاصة انها أعجبت الحضور».

وادركت ان حديثهما كان ودياً دافئاً وخاصة تلك النظرة اللطيفة في عينيه.

وبدت الأمور مختلفة ذلك الصباح، وربما لأن ذلك عائد الى شعور التوقع الغريب الذي صحت معه في الصباح الباكر.

«وهل استمتعت بما بعد الحفل الموسيقي؟».

ووثب قلبها عندما تذكرت كيف وقفا في عالمها الصغير بعيدين عن المطر في وسط باريس، وكيف رجته الا يلعب معها ليسلي نفسه على حسابها وكأنها طالبة مدرسة صغيرة.

ونظرت اليه وقالت بصوت متحشرج:

«أظن أني تصرفت بسخافة».

وأجابها:

«على العكس لقد كنت لطيفة يا عزيزتي، ولكنك ما زلت لا تثقين بي، اليس كذلك يا صغيرتي؟».

«هوغو، ارجوك، ربما اني كنت سخيفة وطفولية التصرف ولكني اعرف لماذا تصرفت بهذه الطريقة ويجب ان اكون عقلانية».

وضحك برقة وتابع قائلاً:

«يا لورا الصغيرة المسكينة. مم انت خائفة يا عزيزتي؟».

ونظرت اليه بعتاب وقالت:

«هوغو، ارجوك لا تضحك علي. انا...».

وسمعت صفق الباب في الطابق الأرضي مما دفعها للابتعاد عنه بشكل تلقائي واستدارت باتجاه الصوت.

ومن ثم امسك هوغو بيدها واتجها الى السلم وقال برقة:

«دعينا نذهب لتناول طعام الافطار يا صغيرتي. سأتكلم معك مرة ثانية عندما تنتهين من تناول افطارك وربما هدأ خوفك مني قليلاً».

ولحق بها جاك الى المكتبة بعد الافطار عندما دخلت لتعمل وكانت على وشك ان توقفه لولا انه لم يبد بمزاج جيد. واغلق الباب خلفه بحرص ووقف للحظة دون ان يتفوه بكلمة وبدت عليه الجدية الى حد كبير.

ووقف في الجهة المقابلة للمكتب ووضع يديه في جيبيه وقال اخيراً:

«اذن، فقد خسرتك فعلاً يا عزيزتي».

وكانت لورا على وشك الجلوس وتوقفت لتنظر اليه غير متأكدة وقالت:

«أنا... انا لا افهمك، جاك».

وهز رأسه بأسف وقال:

«يا صغيرتي لورا، الا ترين كيف تسير الأمور؟ الم يصطحبك هوغو للاستماع لموسيقى فيليب؟ فيليب الذي كان مقدساً عنده... فيا عزيزتي لا يمكنك ان تتظاهري بأن هذا لا يعني شيئاً».

وكان قلبها يخفق بشدة وشعرت بالدوار، وبشكل تلقائي اخذت تتناول بعض الكتب وقالت بصوت منخفض:

«ولكني ذكرت لك كيف وجدت الشريط بين الكتب. وطلب السيد بيلير مقابلتي واراد السيد هوغو ان يشكرني نوعاً ما، لأني وجدت الشريط. وانت تعظم الأمور وتحملها معاني اكثر مما تحمل اذا كنت تظن ان الأمر يعني اكثر من ذلك».

واقترب منها وامسك بذراعيها ونظر اليها بقلق، وهز رأسه

وعانقها قائلاً:

«لورا، انا لم اعظم الأمور، ولكن هوغو بنى حولك الآمال يا عزيزتي، وهوغو لن يخسر كما خسرت أنا».

«جاك».

اخذ قلبها يخفق بشدة بحيث لم تعد تقوى على التنفس، وتخيلت مرة ثانية نظرات هوغو الدافئة ووعده لها بأن يكلمها بعد الافطار. ولا شك بأنه من السخافة ان تفترض بأنه يفكر بأكثر من علاقة عابرة، واحست بالقلق عندما ادركت بأن احاسيسها تجاهه اكثر من ذلك بكثير.

يجب ان تطلب مساعدة جاك، يجب ان يعيدها الى انكلترا قبل ان تتورط اكثر وقبل ان تسبب لنفسها المتاعب لأنها لا تستطيع التحكم بمشاعرها، بالرغم من محاولاتها لتكون عقلانية.

من المعروف عنها عادة انها عقلانية وحكيمة، ولكن هوغو جيرارد رجل ناضج وخبير ولا يهمه الا رغباته، ولقد ادركت فجأة وبوقت متأخر انها تحبه ولكن يجب ان تتصرف قبل فوات الأوان. ومدت يدها الى جاك لتطلب منه المساعدة ولكنه كان قد ابتعد عنها وقال:

«هناك شخص قادم واذا كان هوغو فيجب ان اذهب قبل ان يأتي».

«جاك، ارجوك».

وارسل لها قبلة في الهواء قبل ان يخرج وقال:

«الى اللقاء يا جميلتي لورا».

ولم يغلق الباب خلفه وانما تركه نصف مفتوح، وتسمرت عينا لورا على الباب، وقد امسكت بالكتب بين يديها وبدا عليها القلق.

ودخل هوغو بدون ان ينطق بكلمة وانما نظر اليها باستغراب واغلق الباب بهدوء.

واحست بتسارع خفقات قلبها حتى انها شعرت بالدوار. واحتبست انفاسها عندما اقترب منها بخطوات واسعة.

«لورا؟».

وادركت ان الرعب باد على محياها بوضوح، وحاولت ان تستعيد طبيعتها بأن هزت رأسها ووضعت الكتب من يدها، وانتبهت الى يديها المرتجفتين.

وبقي صامتاً للحظة ومن ثم امسك بيديها وقال برقة:

«جاك، على ما اظن قد ذكر الكثير لك وليس له الحق».

وشدها اليه، فقالت:

«هوغو، ارجوك، لا. . . .».

واجابها قائلاً:

«لورا، يا حبيبتي الصغيرة. لماذا انت خائفة مني يا عزيزتي؟».

وطبع قبلة على جبينها وتابع قائلاً:

«هل تظنين اني انوي ايذاءك؟».

وبدا القلق واضحاً في صوتها خوفاً من ان يجرها الى ما لا تحمد عواقبه وقالت:

«ولكن ارجوك، هوغو. . . ارجوك لا. . . لا تجعل مني مجرد امرأة اخرى. . . .».

ومنعها من ان تفلت من يده ونظر اليها بثبات وسألها برقة:

«أهذا ما تخافين منه يا عزيزتي؟».

وهمست بصوت متحشرج:

«وماذا يمكن ان اعني لك؟ انت. . . .».

وهمس برقة قائلاً:

«لورا، الم تدركي البارحة كيف كان شعوري نحوك يا حبيبتي؟ الم اكن واضحاً بشكل كاف؟».

وابتسم وشعت عيناه بحب الاغاظة وتابع قائلاً:

«انت تتكلمين عن كونك عاقلة، الم يخبرك عقلك اني احبك؟».

وعانقها بشدة وتلاشت مقاومتها فلم تتمكن من الابتعاد عنه. وبعد لحظة طويلة سألها:

«ربما تظنين اني يجب الا احب فتاة صغيرة مثلك؟».

وكان ميالاً للجدية برغم الابتسامة التي ارتسمت على وجهه.

وهزت رأسها وبدت عليها الحيرة، فلم تشعر في حياتها بمثل اختلاط المشاعر تلك، وقالت له:

«هوغو، كم من مرة يجب ان اخبرك اني لست فتاة صغيرة».

واحست بنشوة السعادة والفرح لانها احست بالجدية في كلامه، ولكنها ارادت ان تؤكد لنفسها وقالت:

«أنت .. انت لا تلعب معي، اليس كذلك؟».

وتذكرت انها سألته السؤال ذاته مسبقاً، واستفهم عندها ماذا تقصد بسؤالها وها هو يعيد الاستفهام بقوله:

«يا له من تعبير غريب».

وابتسم متابعاً:

«لماذا انت مصرة اني العب معك يا صغيرتي؟».

«لأن . . . لانك . . . ياه، لا اعلم. هذا الكتاب الذي كتبته على ما اظن».

ورجته بقولها:

«ارجوك هوغو، لا تدعني استمر اكثر من ذلك، اذا كنت لا اعني لك الكثير. اخبرني الآن لأرحل بعيداً لكي لا اجرح نفسي الى حد كبير».

وامسك بوجهها بيديه القويتين وقال:

«يا حبيبتي لورا. انا احبك كثيراً يا عزيزتي».

وأراحت لورا رأسها على ذلك الصدر الواسع، وهمس هوغو قائلاً:

«هل يمكنك ان تنسي اني خال جاك، واني كتبت ذلك الكتاب؟ هل يمكنك ان تنسي من انا، وماذا كنت يا حبيبتي، وتوافقي على الزواج مني؟».

وأجابته ببساطة:

«أنا احبك».

وبدا الاشعاع والفرح في عينيها الواسعتين وقالت:

«لا يهمني ماذا فعلت. وكل ما اعرفه ماذا انت الآن، واني احبك الى الحد الذي اريد معه ان اقضي بقية حياتي معك».

ورفع حاجبه قائلاً:

«هل تثقين بي اخيراً؟».

وأومأت برأسها واجابته برقة:

«اثق بك الى الحد الذي امنحك فيه حياتي».